سلسلة دراسات وبحوث إسلامية

الهيئات التبشيرية المسيحية

تأليف
الدكتور: أحمد جابر بدران
مدير مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية
وخبير اقتصاد مركز صالح عبد الله كامل
جامعة الأزهر

الفهرس العام

مبحث تمهيدي:

معنى التبشير: من الأفضل أن نسمي الأشياء بأسمائها الصحيحة، ولذلك فإننا نرى أن استعمال كلمة التنصير هي أكثر دلالة على المطلوب من كلمة التبشير التي استعملها بعض الكتاب للتعبير بها عن ذلك الجهد الذي يبذله المتخصصون من النصارى في بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين وغيرهم بهدف تنصيرهم وتحويلهم من الإسلام إلى النصرانية واتباع تعاليم الإنجيل بدلاً من القرآن والولاء للكنسية بدلاً من المسجد .

ويمكن أن نعرف التنصير من أقوال الصحابة القائمين به بأنه: منهج يسلكه المختصون لتنصير العالم وتقديم تعاليم الإنجيل إلى غير المسيحى بوسائل مختلفة ولقد افصح الدكتور (هاريسون) عن هذا الهدف بوضوح فى تحديده مهمة الإرسالية العربية الأمريكية بدول الخليج فى قوله: إننا نريدهم أن يصبحوا مسيحيين"([1]) مستدلاً على ذلك بما جاء فى الإنجيل "فلتذهب إليهم وليكن لك أتباع بين جميع الأمم([2])، ويجب أن يعم الإنجيل كل الأمم.

ومحاولة تحقيق هذا الغرض هو ما يطلق عليه لفظ التبشير، الذي يعنى عند النصارى "العيش والعمل والحديث من أجل المسيح".

([1]) التبشير والأستشراق: مستشار عزت الطهطاوى ، ص ١٥٨ – ١٥٩.

([2]) ١٣ . Dang نقلا عن التبشير والاستعمار : فروخ.

ومهمة التنصير بين المسيحيين ضرورية، ولابد أن يتعاون للنهوض بها الأفراد والمؤسسات، وبلغ اهتمامهم بها جداً كبيراً جعل بعضهم يعلن صراحةً عن طبيعة المبشرين بقوله "لقد أرسلناه لا للوعظ الاجتماعي، ولكن للخلاص، لا للحديث عن الاقتصاد بل للتبشير، لا للتقدم بل للصفح، لا للنظام الاجتماعي الجديد بل للمولد الجديد، لا للثورة بل للانبعاث الروحي... لا للتغنى بالديمقراطية بل للإنجيل، لا للحضارة بل للمسيح، إننا سفراء ولسنا سياسيين".

ويتفق المسيحيون على أن التبشير ركن أساسي من أركان الكنيسة الحديثة، وله النصيب الأكبر من الميزانية السنوية فى أموال الكنيسة.

نشأته([1]):

وقد يكون مفيداً للدارسين لهذه القضية أن يعلموا أن سياسة التنصير والعمل على بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين ليست جديدة وأنها ليست وليدة هذا العصر، بل هي قديمة قدم الإسلام نفسه، ويمتد تاريخها إلى عصر النبوة ثم عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا .

وأقدم وثيقة سجلت لنا تاريخ الحوار المسيحي الإسلامي هو القرآن الكريم وما جاء فيه من آيات سجلت لنا ما كان يدور بين الرسول وأهل الكتاب في المدينة المنورة، وهذا الحوار كان يشتد أحياناً ليأخذ شكل الصراع الذي يذهب إلى مستوى الكيد لقتل الرسول ﷺ وكان يهدأ في بعض الأحيان فيأخذ شكل الحوار

([1]) تيارات فكرية معاصرة تأليف محمد السعيد الخليفة ص ٧١ وما بعدها ط دار الثقافة العربية ١٩٨٨م .

العقلاني، ولقد سجلت لنا سورتان كريمتان من سور القرآن الكريم ما كان يجري من حوار بين الرسول وأهل الكتاب وهما: سورة آل عمران، وسورة المائدة، والذي يتدبر آيات الحوار الواردة في هاتين السورتين يقف على حقيقة هذا الصراع وحقيقة القضايا العقدية التي كانت تمثل موضوع هذا الحوار، وكيف فضح القرآن سرائر النصارى حين بدلوا وحرفوا ما أنزل الله على عيسى النبي وبين أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هو من عند الله وما هو من عند الله، واستمرت موضوعات هذه القضية موضوع الحوار الديني خلال عصور الإسلام المتوالية، تصدى لها علماء الإسلام عبر هذه القرون العديدة؛ فوضع الجاحظ رسالته فى الرد على النصارى، وكتب القاضي عبد الجبار كتابه فى دلائل النبوة ونبه كل منهما على أساليب النصارى ومنهجهم فى بث الدعاوى الإنجيلية بين المسلمين.

كما تصدى لنفس القضية ابن حزم فى كتابه العظيم "**الفصل**" والشهرستاني في كتابه "**الملل والنحل**" وعلى بن ربن الطبري فى رسالته الرد على النصارى وابن تيمية فى "**الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**"، وابن القيم فى كتابه "**هداية الحيارى فى الرد على النصارى**" وكذلك القرافى فى كتابه "**الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة**" والقرطبي فى كتابه **الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام**".. وكثير من الرسائل التى لا تكاد تحصى فى هذا الغرض.

وفى العصور المتأخرة، كتب رحمه الله بن خليل العثماني الكيرانوى كتابه "إظهار الحق" الذى يعتبر من أهم الكتب الحديثة التى عرضت لهذه القضية بأسلوب رصين ومنهج علمى رائع أفاد من كتب السابقين. وأخذت هذه القضية تحتل مكاناً بارزاً في اهتمامات المفكرين المعاصرين وفى الأقسام الأكاديمية للفلسفة الإسلامية والعقيدة فى الجامعات العربية والإسلامية، ولعلها تمثل أهم قضايا الحوار القائم بين المسيحية والإسلام في المؤتمرات المتعددة التى احتلت بؤرة الصراع القائم بين أهل الديانتين عبر التاريخ وتحولت لغة الصراع إلى لون جديد من الحوار كمظهر جديد من مظاهر العلاقة بينهما.

ولقد نشطت المؤسسات التنصيرية فى العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين مما لفت أنظار المفكرين المسلمين أن يتنبهوا لخطورة هذه القضية وسوء عاقبتها مما دعا البعض إلى رصد المؤسسات وتتبع تاريخ هذا النشاط التنصيرى فى القرنين الأخيرين.

وتكاد تتفق معظم المؤلفات الحديثة على أن أول من مارس هذه المهمة فى العالم الإسلامي الحديث هو "ريمون لول ١٢٩٩ – ١٣٠٠" المفكر الأسباني الذى استطاع أن يحصل على أذن الملك يعقوب صاحب أرغونة ليقوم بمهمة التبشير فى مساجد برشلونة بين صفوف المسلمين محتمياً بالسلطة المسيحية في أسبانيا([١]). وذلك بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى تحقيق أحلام الغرب

([١]) راجع التبشير فى منطقة الخليج ، ص ٢٠١ /٢٠٢ ، الخنجى.

وعودة بيت المقدس إلى السلطة الكنسية وانتزاعه من أيدي المسلمين .

وكان قبل ذلك قد تأسس فى سوريا وبلاد الشام جماعة (الأخوة الكرملية) أسسها أحد الصلبيين ٥٥٢هـ سنة ١١٥٧ م وأطلق عليها اسم جبل الكرمل .

وفى أوائل القرن الثالث عشر تأسست مدرسة الآباء الفرنسيسكان والدومنييكان، وأنشأت كل منهما لنفسها فروعها المختلفة فى أنحاء سوريا وبيروت.

وفى أعقاب الحروب الصليبية كتب أسقف "دومينكاني" وهو "وليم الطرابلسي" رسالة بشئون المسلمين يوصى فيها باستخدام المرسلين (يعنى المنصرين) بدلاً من الجنود لاستعادة البلاد المقدسة([1]).

ولقد أشار "**فيليب حتى**" إلى هذه الوثيقة الخطيرة فى كتابه عن تاريخ سوريا وفلسطين، وأوضح القول فى العلاقة المتبادلة بين الاستشراق والتنصير وأن هدف الفريقين واحد، وإن اختلفت الوسائل، فالمبشرون يستفيدون من دراسات المستشرقين لخصائص البلاد وأحوالها وعاداتها وإمكاناتها للتقرب إلى أهلها بأيسر السبل، والتعاون قائم بين الفريقين لاستقطاب أهل الرأي فى المنطقة للسيطرة عليها بكل الوسائل المتاحة.

([1]) فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٦٣/٢، دار الثقافة بيروت، نقلاً عن أ.د. عبد العظيم الديب، التعبئة الثقافية، بحث نشر فى ندوة الثقافة العربية، جامعة قطر سنة ١٩٩٣م

ولقد ركزت حملات التنصير فى العصر الحديث على أطراف العالم الإسلامي والمناطق النائية فى شرق وجنوب آسيا وبصفة خاصة فى إندونيسيا ووسط أفريقيا والمناطق الاستوائية، مستعينين فى ذلك بالخدمات الاجتماعية التى يقدمونها لأهالي هذه المنطقة كالمعونات الاقتصادية والخدمات الطبية ودور الأيتام وكبار السن وتأسيس المدارس بمراحلها المختلفة، ومما يلفت النظر حقاً أنه رغم كل هذه الجهود المضنية فإن النتائج التى حصلوا عليها كانت مخيبة لآمالهم مما دعاهم إلى معاودة النظر فى الأسلوب والوسيلة مرات ومرات، ولعل أبرز ما تم الاتفاق عليه فى مؤتمر كلودادو سنة ١٩٧٨م هو محاولة خلق البيئة الملائمة للمسلم الذى يراد تنصيره، فبدلاً من التركيز على تنصير الفرد أخذوا يركزون على تنصير البيئة والجماعة كوحدة متكاملة يراد تنصيرها حتى لا يشعر الفرد بالغربة أو العزلة إذا ترك دينه منفرداً. أما إذا كانت الجماعة كلها محور العمل التنصيرى فإن الفرد لا يحس فيها بالغربة أو العزلة، لأنه حينئذ سيكون فرداً فى جماعة متكاملة. وهذا ما سعى المنصرون لتحقيقه فى كثير من المناطق النائية الآن. ولعل من أبرزها ما يجرى فى إندونيسيا وأفريقيا .

المبحث الأول

مناهج المبشرين

١- التبشير غالباً ما يركز على الجانب الاجتماعي كوسيلة مؤثرة فى تحقيق أهدافه مثل بناء المستشفيات والملاجئ والنوادي والمؤسسات التربوية والتعليمية.

٢- المبشرون يركزون فى خطابهم على الطبقات الدنيا والفقيرة فى المجتمع، الطبقات التى لاحظ لها من الثقافة أو التعليم لتسد رمقها وتروي ظمأها، والطريق إلى مخاطبة الفقيرة والجائع هو لقمة العيش وحفنة المال.

٣-لا يلجأ المبشر إلى الطعن فى الإسلام بطريق مباشر، وإنما يبدأ حواره مع المسلم بالحديث عن الجوانب الاجتماعية التى تشغله والتى هى نقطة الضعف فى حياته ويعاني منها.

كان من الممكن أن نترك هذه النقطة دون إشارة إليها لولا أن بعض المشتغلين بالكتابة يحاول أن يحمل أعمال المبشرين فى العالم العربى على أنها أمور اجتماعية، الغرض منها المساعدة المالية والاجتماعية للفقراء والمرضى واليتامي، ويدعى أن هذه أعمال إنسانية ولا ينبغى التشهير بها أو حملها على غير مراد أصحابها، وهذا ما دعانا إلى التعرض لهذه النقطة لنبين أغراض المبشرين من كتاباتهم هم ومن على ألسنتهم دون تدخل منا للتفسير أو التأويل([١]).

([١]) تيارات فكرية معاصرة ص ٧٦ .

يقول الدكتور (إرهاس) طبيب الإرسالية التبشيرية في طرابلس: فإنه يجب على طبيب الإرسالية التبشيرية ألا ينسى أبداً لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك:

ولقد خطب القسيس "**هاريك**" فى جموع المبشرين مبيناً لهم كيفية التعامل مع المسلمين قائلاً: إن ترجمة الإنجيل وكتب التبشير إلى اللغات الإسلامية أكثر فائدة وأتم نفعاً، لأنه بمجرد شراء المسلمين لكتب المبشرين ومطالعتهم لها تتبدد أوهامهم القديمة عن المسيحية، وأما الجدل والمناظرة فيبعدان المحبة التي لها وقع كبير على قلوب الغير وتأثير مضاد على نشر النصرانية، فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر لأن طريق الاعتقاد غايته دائماً القلب، ويجب على المبشر أن يتحلى دائماً بمبدأ المسيحية قبل أن يتغنى بالأمور النظرية، كما يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستوراً سياسياً بل هى الحياة كلها.. إنها تحب العدل والطهر، وتمقت الظلم والباطل، ونفتح للمسلم مدارسنا ونتلقاه فى مستشفايتنا، ونفرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر ونتعلق بأهداف الأمل إذ المسلم هو الذى امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل، وبهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين([1]).

([1]) الخالدي : ص ١٠٤ –١٠٦.

المبحث الثاني

أهداف التبشير

أهم أهداف التبشير في العالم الإسلامي عموماً وفي منطقة الخليج بصفة خاصة :

١- تحويل أهل الجزيرة العربية عن الإسلام إلى المسيحية، ويتضح هذا الهدف من برنامج عمل الإرسالية الأمريكية التى تأسست سنة ١٨٨٩م فقد جاء فيه ما يلى : "نحن الموقعون أدناه قد عزمنا على القيام بنشاط تبشيرى رائد فى البلاد الناطقة باللغة العربية وبخاصة من أجل المسلمين والعبيد مقرين بالحقائق التالية: إن الحاجة بالغة لهذا العمل التبشيري وضرورة تشجيعه فى العصر الحالى.. ولذلك فقد اقترحت اللجنة المؤسسة لها، ضرورة البدء السريع فى هذا العمل، وأن يكون ميدانها الجزيرة العربية وأعالي النيل" .

٢- ومما يقوى الهدف السابق، ما يدعيه "زويمر" أحد مؤسسي الإرسالية السابقة من وجود حق تاريخى للنصرانية فى الجزيرة العربية، وأن إعادتها إلى النصرانية كسابق عهدها أمر غير مستحيل، وقد أكد ذلك "زويمر" فى قوله: "إن للمسيح حقاً فى استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التى تجمعت لدينا فى الخمسين سنة الأخيرة، على أن المسيحية كانت منتشرة فى هذه البلاد فى سابق عهدها، وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هنا، ولهذا فإن واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى

أحضان المسيحية"([1]). وكان لسقوط الأندلس فى أيـدي الـصليبيين وانتهاء عهد المسلمين بها أثر فى تفكير "زويمر" فى الـدعوة إلـى استرجاع هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية.

٣- الالتفاف حول المقدسات الإسلامية فى مكـة والمدينـة، وهذا الهدف قد أعلنه كثير من المبشرين فى مؤلفاتهم، فلقـد أعلـن "هانوتو" أن هذه الرموز المقدسة هى رمز وحدة المـسلمين وسـر قوتهم، وأن المسلمين حين يلتفون حولها فى الكعبة أو فى المدينـة يجددون نشاطهم ويستعيدون قوتهم الروحية التى يـستمدون منهـا معنى التحدى على مواجهة المشكلات.

ولم ينس رؤساء المؤسسات التبشيرية أن يعلنـوا صـراحة أهدافهم التبشيرية على مسامع الأفراد المـسلمين الـذين يتعـاملون معهم فى المؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات التى أنـشأوها فى البلاد الإسلامية لهذا الغرض، تحت ستار نشر التعليم الحـديث بين أبناء الشرق. فلقد أقيمت الجامعـة الأميركيـة فـى بيـروت ١٨٦٥م، ليكون مديرها مبشراً وجميع المرسلين بها من المبـشرين كذلك، وكان من مبادئ تولى التدريس بالجامعة أن يقسم المدرسون بها على أن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد هو التبشير، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى فقط، بل يجب عليهم أن يقوموا بمهمة التبشير أيضاً، وكانت تحرص الجامعة أن تظهر أساتذتها بمظهـر المبشرين وكانت تجبرهم الجامعة أن يحضروا مؤتمرات المبشرين،

([1]) التبشير فى منطقة الخليج ، عبد الملك التميمي ، ص ٢٤٦.

ولما أحست الجامعة بنوع من الحرج فى مواجهة الدولة العثمانيـــة فى أوائل هذا القرن ألغت مبدأ القسم المطلوب من الأساتذة.

ولقد قرر مؤتمر القدس المنعقد ١٩٣٥م أن يستغل كل درس علمى فى سبيل تأويل مسيحى لفـــروع العلـــوم، كالتـــاريخ وعلـــم النبات([1]). وكان دخول الكنيسة عملاً إجبارياً علـــى كـــل تلميـــذ بالجامعة، ولما احتج أولياء أمور الطلاب على ذلك اجتمع مجلـــس الجامعة وأصدر منشوراً بهذا الخصوص جاء فى مادته الرابعة مـــا يلى:

إن هذه كلية مسيحية، أسست بأموال شـــعب مـــسيحى، هـــم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وأنشأوا المستشفى وجهزوهـــا، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يساندها هؤلاء وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحى على كل تلميذ، وهكذا نجد أنفـــسنا ملـــزمين أن نعـــرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ.. وأن كـــل طالـــب يـــدخل إلـــى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه، ثم أعلـــن مجلـــس الأمناء للكلية: أنها لم تؤسس للتعليم العلمـــانى.. ولكـــن مـــن أول غاياتها أن تعلن الحقائق الكبرى التى فى التوراة وأن تكون مركـــزاً للنور المسيحى، وللتأثير المسيحى، وأن تخرج بذلك علـــى النـــاس وأن توصيهم به.

وهذه المؤسسة التعليمية ببيروت قد تأسس لها نظـــائر فـــى سائر البلاد الإسلامية والعربية على وجـــه الخـــصوص ، فهنـــاك

([1]) الخالدى ، ص ١٠٤ –١٦.

الجامعة الأمريكية بمصر، وجامعة غوردون بالخرطوم، وكذلك فى استامبول بتركيا، بالإضافة إلى المدارس اليسوعية التى لا حصر لها فى البلاد العربية وقراها، ولا يخفى على من يراجع المناهج التعليمية فى هذه المؤسسات أن التبشير هو مركز الدائرة فى كل أنشطة هذه المؤسسات.

والدور التبشيرى الذى قامت به الجامعة الأمريكية، فى بيروت التى أسست سنة ١٨٦٥ قامت به جميع الكليات التبشيرية الأخرى التى أسست لنفس الغرض وفى شتى بقاع العالم الإسلامي ويستوى فى ذلك الجامعة الأمريكية فى وسط القاهرة، والجامعة الأمريكية فى استامبول، والكلية الفرنسية فى لاهور وهذه الجامعة الأخيرة قامت بدور خطير جداً فى جنوب وجنوب شرق آسيا.

وتحت ستار نشر التعليم والثقافة فى بلدان العالم الثالث حول المبشرون دور التعليم بمراحله المختلفة وكذلك المؤسسات الثقافية المختلفة إلى حقول خصبة لزرع تعاليم الإنجيل ونشر تعاليم المسيحية بين أبناء المسلمين ابتداء من سن الطفولة فى دور الحضانة وانتهاء بالتعليم الجامعى، حيث أسسوا مدارس ومعاهد تعليمية لكل هذه المستويات وزرعوها زرعاً فى معظم البلاد الإسلامية.

وكذلك المؤسسات الثقافية والإعلامية كانت بمثابة منابر يعملون من خلالها على نشر تعاليمهم، ولم يجدوا غضاضة فى الإفصاح عن ذلك صراحة حتى إن واحداً منهم يعلن صراحة "أن المبشرين استغلوا الصحافة المصرية بصفة خاصة للتعبير عن

الآراء المسيحية أكثر منها فى أى بلد آخر،حيث ظهـرت مقـالات كثيرة فى الصحف المصرية إما مأجورة فـى أغلـب الأحيـان أو للأجر فى أحوال نادرة([1])

([1]) البهى ص ٤٢٩ ، الخالدى وفروخ ص ٢٠٧.

المبحث الثالث

المؤسسات التبشيرية

أ-الإرسالية الأمريكية فى دول الخليج:

هى إرسالية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية فى شبه الجزيرة العربية، قام بتأسيسها الدكتور لانسنج. Lansing أستاذ اللغة العربية فى معهد اللاهوت فى نيوبرونسك New Brunswick الخاص بتدريب المبشرين التابع لكنيسة الإصلاح الدينى بأمريكا. ولقد ساعد لانسنج فى تأسيس هذه الإرسالية ثلاثة من تلامذته وهم جيمس كانتين، وصموئيل زويمر، وفيليب فيلبس، وكان والد لانسنج يعمل مبشراً فى بلاد الشام وخاصة سوريا لمدة طويلة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد أطلق لانسنج ومساعدوه على هذه الإرسالية اسم الإرسالية العربية سنة ١٨٨٩م. استجابة لطلب رسمى مقدم إلى هيئة الإرساليات الأجنبية للسماح بالقيام بعمل تبشيرى فى البلاد الناطقة باللغة العربية، وبدأت هذه الإرسالية تباشر نشاطها فى الجزيرة العربية وخاصة فى المناطق المطلة على الخليج العربى، وكانت كنيسة الإصلاح الأمريكية بولاية نيوجرسى هى التى تتولى الإشراف والتمويل لهذه الإرسالية كما كانت تمدها بالمبشرين الجدد الذين أتموا تدريبهم بها وأصبحوا مؤهلين للقيام بالعمل التبشيرى، وكان من خطة هذه الإرسالية العمل على نشر الإنجيل المسيحى فى المكان الذى نشأ فيه الإسلام، ولقد أحست هذه الإرسالية بصعوبة المهمة المكلفة بها خاصة فى منطقة الجزيرة العربية مهد الإسلام والتى يتمتع أهلها بالولاء

الكامل والغيرة الشديدة على الإسلام، لذلك فكروا فى وضع خطـــة مكتوبة يوافق عليها أعضاء الإرسالية لتكون هذه الخطة ورقة عمل لهم فى هذه المنطقة وفى غيرها. ومما جاء فى هذه الخطة([1]).

نحن الموقعين أدناه قد عزمنا على القيام بنشاط تبشيرى رائد فى البلاد الناطقة باللغة العربية وبصفة خاصة من أجل المـــسلمين والعبيد مقرين منذ البداية بالحقائق التالية:

١- الحاجة البالغة لهذا العمل التبشيرى وضرورة تـــشجيعه فى العصر الحديث.

٢- عدم وجود مثل هذا العمل التبـــشيرى تحـــت إشـــراف مجلس الإرساليات الأجنبية فى الوقت الحالى.

٣- عدم قيام أى مجهود يذكر حتى الآن فى المجالات آنفـــة الذكر ولتحقيق الأهداف المرجوة فإننا نتقدم من المجلس وبتأييده إلى الكنيسة عامة بالمقترحات التالية:

(١) الشروع بهذا العمل بأسرع وقت ممكن.

(٢) أن يكون ميدان العمل الجزيـــرة العربيـــة أو أعـــالي النيل.

وجاء فى المادة الأولى من دستور هذه الإرســـالية "ســـيكون اسم هذه المنظمة: الإرسالية العربية" وفى المادة الثانيـــة: "ســـيكون هدف هذه المنظمة القيام بالعمل التبشيرى فى الجزيرة العربيـــة أو البلاد الناطقة بالعربية" .

([1]) التبشير في منطقة الخليج عبد الله التميمي ص ٤٥ .

ولا شك أن اختيار الجزيرة العربية كمركز رئيسى لهذه الإرسالية له أهدافه البعيدة التى يخطط لها المبشرون ويعملون على تحقيقها على المدى البعيد، ومن أهم هذه الأسباب التى أعلنوها هو الأدعاء بأن الجزيرة العربية كانت فى سابق عهدها موطناً للمسيحية قبل الإسلام، ومحاولة إرجاعها إلى سابق عهدها المسيحى أمر ضرورى، وقد أكد صموئيل زويمر على هذه الأهداف فى قوله : "إن من بين الدوافع للعمل فى الجزيرة العربية الأسباب التاريخية، إن للمسيح حقاً فى استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التى تجمعت تحت أيدينا فى الخمسين سنة الماضية على أن المسيحية كانت منتشرة فى هذه البلاد فى سابق عهدها، وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك، ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية"([1]).

وبعد دراسة أحوال المنطقة سياسياً وجغرافياً واجتماعياً قرر الجنرال "هيج Heig" فى رحلته إلى الجزيرة العربية، أن كل الجزيرة العربية بدرجات متفاوتة مهيأة لاستقبال الكتاب المقدس بذراعين مفتوحين([2]).

ب-وقد أنشأت هذه الإرسالية عدة مراكز لها فى كل من بيروت، البصرة، البحرين، وكانت البحرين أهم مركز لها حيث أنشأت الإرسالية مكتبة للكتاب المقدس بالبحرين سنة ١٨٩٣ وأصبحت البحرين مركزاً مستقلاً للنشاط التبشيرى فى المنطقة بعد

([1]) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨-٤٩.

([2]) السابق ، ص ٥٠.

أن كان تابعاً لمركزهم بالبصرة، وساعد على تكثيف النشاط التبشيرى بها عوامل كثيرة أشار إليها المبشرون أنفسهم، ومن أهم هذه العوامل، وضع البحرين السياسى حيث كانت محمية بريطانية، وهذا العامل وحده كان كافياً لتوفير قدر من الأمن والأمان للمبشرين فى المنطقة. ثم ابتدأ نشاط هذه الإرسالية إلى جنوب الجزيرة العربية فأنشأت لها مركزاً فى عمان ومسقط ومن عمان امتد نشاط الإرسالية إلى شرق أفريقيا ووسطها.

ج–وفى مطلع العشرين أنشأ المبشرون مركزاً لهم فى دولة الكويت حيث بدءوا فى زيارتها سنة ١٩٠٠م للمرة الأولى وكانت زيارتهم الثانية لها سنة ١٩٠٣م حيث افتتحوا بها مكتبة لبيع الكتاب المقدس. ولكن رفض حاكم الكويت فى وقتها وهو الشيخ مبارك أن تقوم هذه المكتبة بآي نشاط تبشيرى فى الكويت ثم أمر بإغلاقها.

ولكن أعين المبشرين لم تنصرف عن الكويت لما لها من أهمية كبيرة فى نظر المبشرين، ولقد كتب "**أرنولد ويلسون**" عن أهمية الكويت بالنسبة للنشاط التبشيرى فقال: "إن المزايا الإستراتيجية والتجارية لموقعها وقربها من مدخل دجلة والفرات صلتها الوثيقة بمملكة ابن سعود فى وسط الجزيرة العربية، وكونها تسمح بالعبور إليها بسهولة، كل هذه الأمور تجعل الكويت ذات أهمية خاصة بالنسبة للمبشرين"([1]). وظلت المحاولات قائمة بين الإرسالية والشيخ مبارك حاكم الكويت إلى أن توصلت الإرسالية إلى الحصول على موافقة منه بفتح مستشفى سنة ١٩١٣م وأعطاهم

([1]) السابق، ص٦٣.

الشيخ قطعة أرض مجاورة لقصره ليقيموا عليها منزلاً لهم. وتدخل القنصل البريطاني ليكون وسيطاً لهم عند الشيخ بضمان الولاء وعدم المعارضة، وظلت الإرسالية تباشر نشاطها بالمنطقة إلى وقت قريب .

د–ولعل أحدث مركز أنشئ للتبشير فى هذه المنطقة هو فى قطر، حيث قدم إليها القس "**جريت بينتجز**، "**والدكاترة هاريسون، وديم، وتوماس**"، والآنسة "**كورنيليا دالنبرج**" لتفقد معالم المنطقة ودراسة أحوالها، وفى سنة ١٩٤٥م حضر إلى قطر القس "**ج. فان بيرسم**" لإفتتاح مستشفى وبعض المراكز الطبية فى قطر ووجدوا فى هذه فرصة جيدة لمزاولة نشاطهم، وطلب منهم الشيخ أن يضعوا تصميماً لمستشفى سيعهد بإداراتها إليهم وفى خريف سنة ١٩٤٧م، أصبحت المستشفى جاهزاً للعمل، ولكن هذه الخدمات الطبية لم تستمر طويلاً فى قطر ففى سنة ١٩٥٢م اضطرت الإرسالية أن تتوقف عن نشاطها تماماً فى قطر حيث عادت المستشفى إلى حكومة قطر وأصبحت الإرسالية غير آمنة على نفسها فتوقفت عن العمل تماماً فى هذا البلد([1]).

هذه فكرة موجزة عن تاريخ التبشير بالمنطقة العربية خاصة منطقة الخليج العربية، ومن المعلوم أنه فى عصر الاستعمار الحديث، نشطت عملية التبشير فى الأقطار الإسلامية التى احتلتها دول الغرب، وفرضت سيطرتها السياسية والثقافية على أهلها، وجلب الاستعمار معه كثيراً من المبشرين وسنده الكنائس يقول

([1]) المصدر السابق ، ص ٧٠.

الأستاذ أحمد دنفر فى كتابة "**التبشير في منطقة الخليج**": ". . في عام ١٨٧٠م وسعت البعثة التبشيرية التابعة للكنيسة الإصلاحية فى أمريكا مجال نشاطها فى العراق حيث كانت تباشر أعمالها إلى منطقة الخليج عن طريق تقديم الخدمات الطبية والتعليمية، كما أن الكنيسة الأنكليكانية ارتبط وجودها بالجيش البريطانى فى منطقة الخليج، بينما وصلت الكنيسة الكاثوليكية عن طريق الهند وأفريقيا الشرقية، وقد أسس عدد كبير من موظفى شركات النفط كنائس على المستوى المحلى، وآخر الكنائس التى أسست فى الخليج العربى كانت تلك التى أسسها العمال المهاجرون من الهند وباكستان"([١]).

([١]) التبشير فى منطقة الخليج ، ص ٥، أحمد نون دنفر.

المبحث الرابع

أهم وسائل المبشرين

١- من أهم الوسائل التى يسلكها المبـشرون فـى منطقـة الخليج أنهم يركزون على الجوانب الاجتماعية لخدمة المنطقة، ومما ساعدهم على سهولة الأخذ بهذه الوسيلة أن المنطقة الخليجيـة قبـل ظهور النفط فيها كانت تعيش حياة البداوة، فالجهـل هـو الـصفة الغالبة على سكان المنطقة، والفقر المدقع كان واقعاً يعيشه معظـم السكان خاصة الذين يعيشون فى البوادى، أضف إلى ذلـك الحالـة الصحية والرعاية الطبية المتدنية، وهذا كله جعل النـشاط الطبـى وسيلة مناسبة وميسورة وبعيـدة عـن الـشبهات، وعـن طريـق المستشفيات والعيادات العامة يسهل اللقاء المباشر مع سكان المنطقة المسلمين رجالاً ونساءً، فكان المريض إذا ذهب إلى المستـشفى لا يسمح له بلقاء الطبيب إلا بعد أن يؤدى الصلاة المسيحية بالكنيـسة الملحقة بالمستشفى، ولا يصرف له العلاج إلا بعد لقاء مباشر مـع الراهب أو الراهبة. وهذا جعل للهيئات الطبيـة بالمنطقـة وضـعاً ممتازاً بين سكان المنطقة، حيث كان المسلم والمسلمة همـا اللـذان يطلبان لقاء الطبيب والطبيبة، ويسعيان لمقابلتهما، والسماع منهمـا والجلوس إليهما حيثما كانا، وهذا جعل المستشفى والمستوصف من أخطر مراكز التبشير فى منطقة الخليج، ولعل أكبر مثال على ذلـك مستشفى بعثة الاتحاد الإنجيلي فى الإمارات العربية المتحـدة فـإن نشاطات لا يقتصر على المرضى المقيمين بها فقط، وإنمـا تعـدى ذلك إلى إقامة الندوات العامة التى تعقد فى القاعة المعدة لذلك، كما

أسست المستشفى مكتبة خاصة لبيع الكتب والمطبوعات المسيحية، وفى كل غرفة منها تقدم أشرطة التسجيل للكتاب المقدس وسماع موعظة الأحد([1]).

٢- ومن وسائل المبشرين عموماً - وفى الخليج بصفة خاصة - العلاقات الشخصية والصداقات التى تتم بين الأفراد والعائلات فى داخل المنطقة وخارجها، ومن أبرز المبشرين المهتمين بهذا الجانب مجموعة صانعى الخيام لوجودهم فى أماكن العمل المختلفة، واحتكاكهم المباشر مع أصحاب الأعمال ومع العمال أيضاً.

٣- يأتى بعد ذلك دور المطبوعات فى عملية التبشير وتوزيعها بالمجان، فهناك عدد كبير من المكتبات المسيحية تقوم بهذه المهمة، وهناك المطبوعات التى توزع على البيوت سراً وهى أشبه بالمواعظ الإنجيلية والترانيم اللاهوتية يجدها الشخص أمام بيته فى الصباح أو ملصقة على الجدران.

٤- الإذاعات التبشيرية المنتشرة حول العالم الإسلامي وفى داخله، وهى أكثر الوسائل الحديثة فاعلية فى الاتصال بالمسلمين، وهناك أجهزة إعلامية متخصصة فى إنتاج البرامج التبشيرية الموجهة إلى المسلمين، ولعل من أهم هذه الأجهزة شركات الإنتاج الإعلامي الموجودة فى لبنان وفرنسا وأسبانيا، وفى جزيرة سيشل، وبعض هذه الشركات تبث برامجها من راديو عبر العالم من موناكو ومن قبرص كما أن راديو الفاتيكان يبث برامجه التبشيرية

([1]) المرجع السابق ، ص ٣٧.

باللغة العربية. ولعل أنشط هذه الشركات الآن راديـــو مونتوكـــارلو الذى يبث برامجه التبشيرية بعد الساعة الحادية عشر مساء عادة.

٥- المؤسسات التربويـــة التعليميـــة، مثـــل دور الحـــضانة والمدارس الابتدائية والإعدادية والثانويـــة والجامعـــات الأمريكيـــة المنتشرة فى العالم الإسلامي، وهذه المؤسسات يختلف نشاطها قـــوة وضعفاً حسب المنطقة التى تعمل بها، فعلى سبيل المثـــال نجـــد أن أنشطة المدارس العاملة فى دول الخليج مدارس كاثوليك فـــى أبـــى ظبى، ومدرسة الإرسالية الأمريكية التى كانت تعمل فى البحرين.

٦- يضاف إلى ما سبق دور الصحافة والفنـــون والبعثـــات التعليمية وما يترتب على ذلك من نشر أفكـــار لتزييـــف التـــاريخ الإسلامي أحياناً واستغلال الواقع المؤلم للعـــالم الإســـلامي أحيانـــاً أخرى ومحاولة ربط ذلك التخلف بالإسلام.

ولقد قامت الصحافة بأخطر الأدوار التبشيرية فى المنطقـــة العربية والإسلامية على وجه العموم، فلقد هاجر إلى مصر كثيـــر من الموارنة اللبنانيين بدعوى زائفة ومكشوفة وهى طلب الآمان فى مصر بلد الحرية والنور. هكذا كانوا يبررون هجرتهم إلى مـــصر. ولازالوا. ولكن قد أثبت الواقع عكس ذلك تماماً. فقد كان الموارنـــة خريجى الأديرة والكنائس والمدارس التبشيرية الذين حملـــوا معهـــم بذور الفتن وأساليب التنصيرة فى ربوع مصر، وأخذوا يباشـــرون نشاطهم تحت حماية الاستعمار الأجنبي الذى كان مسيطراً على كل مرافق الحياة فى القرن التاسع عشر والنـــصف الأول مـــن القـــرن العشرين، وكان نشاط الموارنة المهاجرين شديد الأثر، فلقـــد هيـــأ

الوجدان المصرى للاستعمار الثقافى، ولقد أشار إلى هــذه الحقيقــة المؤرخ الأمريكي "**بيتر جران**" حيث قال: "لقد سعت فرنــسا إلـــى زرع فئة من التجار المارونيين الشوام فـــى الأســـكندرية ودميــاط ورشيد ، تحت حماية النفوذ الأجنبي، وكان لهؤلاء بعض الــصحف التى أطلق عليها عبد الله النديم صحف الأجراء. وكان يــسمى مــا ينشرونه بالقاذورات"([1]).

وقام جرجى زيدان بتأسيس دار الهلال بمصر وهى مؤسسة تبشيرية خالصة وكذلك أنشأوا مجلة الكاتب المصرى، وقيــل أنهــا تأسست بأموال صهيونية .

أما جريدة الأهرام فتأسست بيد صليبية خالصة وكـــان مـــن بنود تأسيسها ألا يعمل بها إلا النــصارى ولا يقــوم بتوزيعهــا إلا النصارى، وكان من أكبر مؤسسيها بشارة تقــلا وإخوانـــه الــذين هاجروا إلى مصر سنة ١٨٧٣هـــ تحت حماية الحملـــة الفرنـــسية، وكان صاحب دور كبير فى تأليب الإنجليز ضد عرابى، وكان قلمه مدافعاً عن الإنجليز أحياناً وعن الفرنسيين أحياناً أخرى ولقد ســـجل عرابي فى مذكراته كيف خدعه بشارة تقلا. فقد كان مؤمناً بمبـــادئ عرابي، أو هكذا كان يتظاهر، يقول عرابى: "وبعـــد ســـاعة جـــاء ليزورني بشارة تقلا محرر جريدة الأهرام، وظننت أنه قدم ليعزيني ويبدى عواطفه نحوى لأنه قد اقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا وأنه يعمل لحرية وطننا... ولكنه لما دخل على عرابي توقح أشد التوقح، ثم قال: أيا عرابي: "ماذا فعلت وماذا حل بك ورأيـــت أن الرجـــل

([1]) راجع بحث أ.د عبد العظيم الديب ، الندوة العربية ، جامعة قطر ـــ سنة ١٩٩٣ م.

خائن لا محالة" هكذا يقول عرابي عن بشارة تقلا مؤسس جريدة الأهرام.

والدور الذي لعبه تقلا ورفاقه لا يقل عنه ما قامت به مؤسسة جرجي زيدان في مصر، فتحت ستار التنوير والنهوض والتقدمية، زلزلت كثيراً من ثوابت القيم فى الشارع المصرى الحديث واستطاعت أن ترسخ فى وجدان الأمة العربية كثيراً من الأحاديث وتعمل على الترويج لها، مثل قولهم بأن الحملة الفرنسية هى بداية عصر النهضة فى مصر، أو أن الخلافة العثمانية تمثل عصر الظلام، وأن اتصالنا بفرنسا هو الذى علمنا معنى الحرية وأخذ بيننا فى سلم الحضارة ... إلخ ..([1]) .

([1]) راجع البحث القيم الذى كتبه أ.د / عبد العظيم الديب ، فى ندوة الثقافة العربية ، جامعة قطر ، سنة ١٩٩٣م.

المبحث الخامس

النشاط التبشيري في مصر

١/٥ : تغلل النفوذ الأجنبي .

تعود الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبيـــة، إلـــى الوقت الذى كانت فيه مصر (باشوية عثمانية)، وعلى تولية (محمـــد على)؛ ١٨٠٥ – ١٨٤٨ ؛ الحكم وتثبيته فى الباشوية المصرية فـــى نوفمبر ١٨٠٦، بدأت مرحلة الامتيازات الأجنبية، التى تأثرت بهـــا مصر بدرجة خطيرة للغاية. فقد كان (محمد على) له سياسة تتـــسم بالتسامح الدينى، لدرجة "أنه أباح الحرية الدينية للأجانب فى البلاد، عندما سمح لهم بدق أجراس كنائسهم، وألغى القاعدة التـــى كانـــت تحتم عليهم، الحصول على تصريح من الحكومة لبنـــاء كنيـــسة أو ترميمها أو إعادة بنائها. كما سمح (محمد على) بمـــرور مواكـــب جنازات الموتى الأجانب فى الشوارع العامة، دون قيـــد أو شـــرط، على أن القيد الوحيد كان يتمثل فى حتمية إقامة الطقـــوس الدينيـــة الخاصة بهم، داخل كنائسهم لا خارجها.

والحقيقة أن ظهور الامتيازات الأجنبية فى مصر، يرجع إلى ما قبل الفتح العثماني، حوالى أواسط القرن الثالث عـــشر، عنـــدما منحت الدولة العثمانية الأوربيين المقيمين بسائر الولايات العثمانية، بعض الامتيازات، لتميزهم عن سكان هذه الولايات، وكانت البدايـــة حينما عقد (لويس) ملك فرنسا معاهدة امتيازات مع سلطان مـــصر عام ١٢٥١، والتى أصبح بمقتضاها لفرنسا الحق فى تعيين قنـــصل ثابت بالإسكندرية، لينظر فى مصالح الرعايا الفرنـــسيين، ويطبـــق

عليهم القوانين الفرنسية، فى حالة نشوب نزاع بينهم، ثـم عقـدت معاهدة أخرى بين الطرفين، صدق عليها جميعها الـسلطان (سـليم الأول) عام ١٥١٧، والسلطان (سليمان المشرع) عـام ١٥٢٨. ثـم تمت اتفاقات نهائية بين السلطان العثمانى، وملك فرنـسا(فرانـسوا الأول) فى عام ١٥٣٥، شملت جميع الامتيازات السابقة، ووضـعت لها نظاماً خاصاً، وأصبحت – منذ ذلك الوقت – سارية المفعول.

وبطبيعة الحال، حددت هذه الامتيازات أوضـاع الأجانـب الاجتماعية فى البلاد، "كالتعهد بحرية المجيء والإقامة والانتقـال، ومنح المسكن الملائم، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وحمايتهم من الاضطهاد، والتعسف فى جبايـة الـضرائب والرسوم".

وقد شجع الأجانب على الوفود إلى مصر انقـضاء فوضـى العهد المملوكى، وتأسيس الحكومة القوية التـى اسـتطاعت، منـذ استتباب الأمر لمحمد على، تأمين الأجانب على أرواحهم وأموالهم، فقد بلغ عدد الأجانب فى مصر عام ١٨٣٣ حـوالى خمـسة آلاف أجنبي. وبعد كسر معاهدة لندن (١٨٤٠) لنظام (رأسمالية الدولـة)، الذى أنشأه (محمد على) فى مصر، شهدت البلاد تـدفق الأجانـب، ورؤس الأموال الأجنبية إليها. حيث كانت الظروف – بصفة عامـة – ملائمة لوفود الإرساليات التنصيرية على اختلاف أنواعهـا مـن كاثوليكية إلى بروتستانتية، وتغلغلها فـى مـدن مـصر الجنوبيـة والساحلية.

وقد رسخت أقدام هذه الإرساليات الأجنبية، فى الوقت الـذى بدأت تضعف فيه الدولة العثمانية. ولا شك أن الدولـة العثمانيـة، عندما منحت تلك الامتيازات للأجانب، كانت قد بدأت فى الـضعف فعلاً. كما وأن (الإسلام) بعظمته، كان السبب الأول فى ظهور تلك الامتيازات الأجنبية فى ولايات دولة الخلافة (الدولـة العثمانيـة) ؛ فذكر الحروب الصليبية كانت لا تزال مطبوعة فى الأذهـان، ممـا كان فى شأنه، عدم توافر الثقة بين المسلمين وغير المسلمين، لـذلك كان على الدولة العثمانية أن تغلق أبواب ولاياتها فى وجه الأجانب، ولكن الذى حدث، أن الدولة العثمانية، كانت مـضطرة إلـى مـنح هؤلاء الأجانب، بعض الامتيازات والحقوق، بدعوى الإفـادة مـن نشاطهم التجارى والثقافى!!

وكانت أولى هذه المعاهدات هى تلك، التى عقدها (فرنـسو الأول) – ملك فرنسا – مع السلطان (سليمان المـشرع) – سـلطان الدولة العثمانية – فى عام ١٥٣٥م. وعندما حاول الـسلطان (عبـد المجيد الأول) بن محمود (١٨٠٨ – ١٨٦١)، الـسلطان العثمـانى، التخلص من الامتيازات الأجنبية فى عام ١٨٥٦؛ بمؤتمر بـاريس، كانت الدول الأوروبية قد تكاتفت ضد الدولة العثمانية، ولـم تمكـن سلطانها من ذلك. من هنا كانت الامتيازات الأجنبية، هـى (جـواز المرور) الشرعى، لوفود الإرسـاليات التنـصيرية، وهـى أيـضاً (المظلة الشرعية)، التـى مارسـت تحتهـا الإرسـاليات نـشاطها التنصيرى ضد الإسلام والمسلمين، ليس فى مصر وحـدها، وإنمـا فى كافة أقطار العالم الإسلامى !!

وإن كانت (تركيا) قد نجحت – فيما بعد– في إلغاء الامتيازات الأجنبية، بعد أن ظلت سارية حوالى خمسة قرون (تقريباً) ؛ بالنسبة لها من (معاهدة لوزان؛ ٢٤ يوليو ١٩٢٣)؛ فإنها ظلت – هذه الامتيازات – قائمة وسارية فى مصر، حتى عام ١٩٣٧، عندما تم إلغائها نهائياً، بعد أن عانت من جرائها كثيراً، وكانت الإرساليات التنصيرية، واحدة من هذه المعاناة التى عايشها الشعب الإسلامى فى مصر([1]).

٢/٥ : القناصل الأجانب

لقد أساء الأجانب استعمال هذه الامتيازات، فأخذ القناصل يقومون بدور خطير فى مساعدة الإرساليات التنصيرية فى مصر. وكان قناصل الدول الأوربية والولايات المتحدة، فى مصر وقد أثاروا الكثير من المشكلات، وذلك ضمن مخطط شامل على مستوى الأقاليم المصرية، بسبب إنحيازهم للمنصرين الأجانب، وتسهيلهم مهمة الإرساليات التنصيرية، وحمايتهم لأعوان وأذناب المنصرون، من الأقباط المصريين، وبشكل فاضح.

٣/٥ : بداية النشاط التنصيرى الألمانى فى مصر

ولقد جاء أول إتصال بين هذه الإرساليات التنصيرية الأجنبية – عامة– وبين مصر، فى عام ١٦٣٣م، عندما جاء أول منصر (لوثوى)، إلى مصر، وهو (بيتر هيلنج P. Heyling) وكان عمره ٢٦ عاماً، فى محاولة من جانب الكنائس الألمانية لدراسة أوضاع مصر الدينية، ومعرفة الوقوف على مدى نجاح (التبشير)

([1]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر د/ خالد نعيم ص ٧ ظ – المختار الإسلامي ١٩٨٨م .

بين المسلمين، ومكث هذا المنصر فى مصر حتى اكتوبر عام ١٦٣٤.

وعندما قررت (الكنيسة المورافية) أو (كنيسة الأخوة المتحدين) وهى كنيسة إلمانية، تأسست فى عام ١٤٥٧م فى (بوهيميا) – بدأ نشاطها التبشيرى فى عام ١٧٥٠، أثناء زيارة كونت (زنزندورف Zinzendorf) لها ، بعثت بأول منصر لها إلى مصر فى عام ١٧٥٢، وكان هذا الرجل هو الدكتور (فريدريك وليم هوكر F.W. Hocker) ، والذى أسس أول إرسالية ألمانيا فى القاهرة. وقد كان من اهداف هذه الإرسالية دراسة اللغة العربية، بإعتبارها الاساس الجوهرى، لممارسة النشاط التنصيرى بين المسلمين فى مصر. وكان (هوكر) عند وصوله إلى القاهرة، قد استأجر منزلاً صغيراً، جعله مركزاً لممارسة نشاطه، وفتح فيه خدمة طبية، باعتبار التطبيب من الوسائل الضرورية والهامة للعمل التنصيرى فى مصر. وبعد قضاه (هوكر) فى مصر، كان الرجل قد أجاد اللغة العربية عن جدارة. وكان عليه أن يبدأ نشاطه التنصيرى بين المسلمين.

وبالفعل بدأ (هوكر) فى عام ١٧٥٦؛ بعد أن إنضم إليه منصر (موارفى) آخر، جاء من غلمانيا، هو (جورج بيلدر G. Pilder)؛ وأخذ يعرض عقيدته على المترددين على داره، التى جعلها مركزاً طبياً وتنصيرياً. وفى عام ١٧٥٧ أنضم إليهما، منصر (موارفى) ثالث، وفد من ألمانيا، هو (هنرى موسارت H . Cossort) وأخذت الإرسالية الألمانية، تمارس نشاطها التنصيرى،

تحت ستار التطبيب، فى القاهرة و (بنى سويف). غير أن (بيلدر) قرر فجأة، فى عام ١٧٥٩، العودة إلى بلاده. بعد أن تعرضت حياته للخطر، فى حادثة كان أحد طرفيها، بعض المسلمين من أعيان منطقة (البهنسا)، القريبة من (بنى سويف)!!

أما (هوكر وكوسارت)؛ فبقيا وحدهما فى القاهرة، وأخذ يعملان فى مهنة التطبيب، ومن خلالها كانا (يوعظان) المترددين عليهما، لكن كانا على حذر ويقظة، ومع ذلك فقد أنفضح أمرهما، وتعرضا لمتاعب كثيرة من جانب الشبان المسلمين، فقررا الرحيل عن مصر فى عام ١٧٦١، وسافرا معاً إلى أوروبا، بلا عودة. ومنذ ذلك التاريخ، توقف نشاط الإرسالية الألمانية اللوثرية المورافية، فى مصر، لمدة سبع سنوات. حتى كان عام ١٧٦٨ عندما جاء المنصر (جون هنرى دانك J.H. Danke)، وتوجه على الفور، إلى منطقة (البهنسا)، لمواصلة نشاط زميله السابق المنصر (بيلد) والذى كاد يلقى حتفه هناك.

وفى عام ١٧٧٠ وصل إلى القاهرة، المنصر (جون آنتس J. Antes) ولكنه مكث فى القاهرة، يمارس نشاطه، بمعاونة بعض الأقباط المصريين الذين كانوا على صلات وثيقة بالمنصر الألمانى (هوكر)، وفى نفس الوقت، كان (دانك) هو الآخر، قد أخذ يتودد إلى الناس فى (البهنسا)، ونجح فى جذب لفيف من أقباط المنطقة، بذكائه البالغ، وشخصيته الرقيقة المهذبة وبدأ يمارس نشاطه التنصيرى هناك، وكادت إرساليته تلقى رواجاً بين المسلمين فى (البهنسا)، لكن المرض الذى لحق به هناك، جعله يترك (البهنسا)

إلى القاهرة، فى يوليو عام ١٧٧٢، وبعد شهور قليلة، عاد – هــو الآخر – إلى بلاده، بلا عودة.

وفى عام ١٧٧٤، وصل إلى القــاهرة، المنــصر (جــورج هنرى وينجر Wieniger J.H.)، لينضم إلى (جون آنتس) ويؤســسا معاً (خدمة طبية)، بالقاهرة. ولكن نشاطهما التنصيرى كان محدوداً للغاية، لعدم إقبال الكافة على خدمتهم الطبية. لذلك قرر (الــسنودس العام للكنيسة الميخية "المصلحة"فى الشمال الأمريكي)، وقف النشاط التنصيرى الألماني المورافى، فى مصر عام ١٧٧٢. لتتولى هــى بمعرفتها– أى الكنيسة المشيخية الأمريكية – العمل التنصيرى فــى مصر. والذى سيتقرر أمره فى اجتماع (السنودس العام) هذا، يــوم ٢١ مايو عام ١٨٥٣، عندما يتقــرر ذهــاب بعــض المنــصرين الأمريكيون من سوريا إلى مصر([١]).

٤/٥ : وصول الإرسالية الإنجليزية إلى مصر (١٨١٩)

كان أول اتصال بين الإرساليات الإنجليزية، وبين مصر فى أعقاب هزيمة (نابليون بونابرت) فى المعركة الشهيرة (ووترلــو)، بأوربا. يقول تقرير أول إرسالية إنجليزية : "أنه بعد سقوط نابليون أصبح البحر المتوسط مفتوحاً للنشاط (التبشيرى). وخلال أقل مــن ثلاثة شهور، بعد معركة ووترلو، كان القس (جويت) فــى طريقــه إلى مالطة، ليزور قادة الكنائس اليونانيــة، والأرمنيــة والقبطيــة والمارونية، بقصد نشر التعليم وتداول الكتاب المقــدس" . وبالفعــل

([١]) السابق: ص ٣٢ وما بعدها .

وصل المنصر (وليم جويت .W . Jowett)، إلى مصر فـــى عـــام ١٨١٩، موفداً من جانب (جمعية إرساليات الكنيسة) الإنجليزية.

وقد قضى (جويت) فى مصر، بضعة شهور فـــى ســـنوات ١٨١٩ ١٨٢٠ ثم فى عام ١٨٢٣؛ وخلال هذه الفترة، تعلـــم اللغـــة العربية، وأجادها. وأخذ يتصل ببعض الأقباط المـــصريين، الـــذين سهلوا له مهمتة التنصيرية. فأخذ يمارس نشاطه التنصيرى، بتوزيع منشوراته، باللغة العربية، والتى كانت تدعوا إلـــى الـــدخول فـــى المسيحية، والتى كانت تحت عنوان (البشائر الأربع). وهذا المنصر الإنجليزي الخطير، سيكون له دور فعال جداً، فى نجـــاح الحركـــة التنصيرية عامة فى مصر. فقد أسس هذا المنصر، وأنـــشأ مجلـــة (الشرق والغرب) – لسان حال كافة الإرســـاليات التنـــصيرية فـــى مصر والشرق الإسلامي – ومستشفى (هرمل) فى منطقة (مـــصر القديمة)، هذا المستشفى، الذى سيتحول إلى مركز تنـــصيرى فـــى مصر أيضاً!!

ويقول ذات التقرير السابق: "وفى عام ١٨٢٥ وصـــل إلـــى مصر خمسة (مرسلين). وقد مكنت الامتيازات الأجنبية، الإرســـالية الإنجليزية من الانتشار بسرعة، وممارسة نشاطها التنصيرى، تحت ستار "إنها من الكنائس، وإجراء التعديلات الداخلية فيهـــا، وإعـــادة تعليم الأكليروس".

لقد كان هؤلاء الخمسة، هم النواة الأولى، لتأسيس الإرسالية الإنجليزية فى مصر.

ويروى (توفيق حبيب) – فى هذا الصدد – "فى أوائل القرن الماضى، حضر إلى مصر خمسة من رجال الكنيسة الإنكليزية، للوعظ و التبشير". بينما يذكر البعض: "أن هؤلاء الخمسة، كانوا (ألمان من معهد (بازل)، وهم (صموئيل جوبات S. Gobat)، وهو من أصل سويسرى، وعمل لمدة ٢٣ سنة فى مصر والحبشة ومالطة، وخلال هذه الفترة أجاد اللغة العربية. لكنه توفى في عام ١٨٧٩)، "أنه الوحيد الذى بقى من الخمسة الإنكليز، الذين غادروا البلاد عائدين إلى بلادهم، الواحد بعد الآخر، وقد سكن (ليدر) بمنطقة (الدرب الواسع) – فى القاهرة" (ثيودور مولر . The Muller)، و (وليم كرواس W. Kurse) ، و (كريستيان كوجلر Ch. Kugler) .

وكان لأعضاء هذه الإرسالية، مقراً دائماً بالقاهرة. ويروى (توفيق حبيب)، "أن (الأسقف جويت) ذكر، أنه كانت لهم دار فى ميدان الأزهار (الفلكى) للمسجلات الأدبية والبحث فى العقائد، لم تلبث أن عطلت نتيجة لما كان يقع فى بعض اجتماعاتهم من مشاغبات". وبطبيعة الحال، لم يكن هذا المقر، كما ذكر (توفيق حبيب) على لسان ، (جويت) يقوم بهذه المهمة فقط. وإنما كان مركزاً تنصيرياً على درجة عالية من الخطورة. وسوف تظهر آثاره فيما بعد . فى عام ١٩٣٢ – ١٩٣٣ً

على أية حال، لقد أجمعت المصادر على أن مراكز التنصير الأجنبية، بدأت عملها فى جزيرة مالطة، فى أواخر القرن السادس

عشر، اعتبرت الجزيرة قاعدة هجوم على مصر والشرق الإسلامي كله.

لقد أخذ نشاط المنصرون الإنجليز، يظهر بشكل ملفت فـــى مصر، منذ أن لجأوا إلى فتح المـــدارس، باعتبارهـــا مـــن أفـــضل الوسائل الإيجابية فى العمل التنصيرى، لجعلها مراكـــز لعملهـــم إذا ينجذب إليها الكافة . وإن كانوا قد بدأوا بعملهم الجاد، بين الأقليـــات الدينية، وراحوا يركزون نشاطهم فى البداية بين اليهود. فإن ذلـــك الأمر، لا يعدو أن يكون من جانب المنصرون الإنجليـــز، محاولـــة لجس النبض، ثم التحول إلى الهدف المنشود، وهـــو العمـــل بـــين المسلمين لتنصيرهم. وهذا هو الذى حدث بالفعل فيما بعد !!

وقد قامت (جمعية إرساليات الكنائس) الإنجليزيـــة، بإنـــشاء ثلاث مدارس فى مصر، خلال الفترة مـــن عـــام ١٨٣٩ – ١٨٤٠، كما قام المنصر الإنجليزى (آل ويسليان)، بفتح مدرسة، أخرى فـــى القاهرة. وأمام هذه الموجة من فتح المدارس التابعـــة للإرســـاليات الإنجليزية، توهم البعض، بأن التعليم فى مصر، كان يسير بخطـــى إيجابية، غير انه بعد قبول اتفاقيـــة لنـــدن ١٨٤٠، كـــان التعلـــيم الحكومى الوطنى، ينهار بصورة ملحوظة. وقد أستمر هذا التدهور حتى أوائل الستينات من القرن الماضى.

ومع انكماش التعليم الحكومى الوطنى، انفتحت مصر علـــى مصرعيها للمؤسسات والهيئات الأجنبية، لإنشاء مدارســـهم، ممـــا ساعد على نشر الثقافة الغربية المسيحية بين أبناء المسلمين؛ الأمـــر الذى كان يسهل مهمة الإرساليات التنصيرية. وفى عـــام (١٨٤٢ –

١٨٤٣)، أنشأت الإرساليات الإنجليزية فى مصر، معهداً لاهوتيـاً، لتعليم كهنة الأقباط المصريين، الذين إنساقوا ركابهم، أصول العملية التنصيرية وليكون بمثابة المركز العام، لتخريج الكوادر التنصيرية المحلية فى مصر.

ولقد حاولت الإرسالية الإنجليزية ، الحصول علـى قطعـة أرض من الخديوى سعيد (١٨٥٤ – ١٨٦٣)، غير أنها لم توفق فى ذلك، وكانت الإرسالية تنوى تشييد كنيسة ومدرسة عليها. وإن كان الحلم سيتحقق للرعاية الإنجليز فيما بعد، عندما أصـدر الخـديوى إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) أوامره، فـى عـام ١٨٦٤، لمحـافظ القاهرة، بوهب (قطعة أرض) مساحتها ثمانمائة وثلاثة أذرع وثلث زراع مربع، لإنشاء كنيسة بروتستانتية، لرعاية انجلترا. ومع ذلـك فإن نشاط الإرسالية الإنجليزية، قد واجهته عقبات فى طريقه.

فلم يلبث صراع النفوذ بين فرانسا وانجلترا، أن ظهـر فـى ميدان الإرساليات التنـصيرية فـى مـصر، فحاولـت المـدارس (البروتستانية) الإنجليزيـة، أن تنـافس المـدارس (الكاثوليكيـة) الفرنسية، فى نشاطها التنصيرى فى مصر.

لكن كان محمد على فى عام ١٨٤٠ قد أعطـى تـسهيلات وامتيازات خاصة، للمدارس (الكاثوليكية) الفرنسية؛ فانتشرت فـى طول البلاد وعرضها، من (قنا)إلى (بورسعيد)، وبجانب المدارس، ظهرت المستوصفات الفرنسية، التى تقوم، وتحت ستار التطبيـب، بالتنصير بين أوساط المسلمين، وأمام تنـامى النـشاط التنـصيرى الفرنسي؛ الذى أخذ يستشرى بصعيد مصر، فـى شـكل عـشرات

المدارس الفرنيسكان، ومئـــات المـــستوصفات للراهبـــات، وملثهـــا بالوجه البحرى، قررت الإرســـالية الإنجليزيـــة إغـــلاق (المعهـــد اللاهوتى) فى عام ١٨٤٧.

ومع ذلك أستمر نشاط الإرســـالية الإنجليزيـــة، ولكـــن لـــم يتواصل أمام تنامى النشاط التنصيرى الفرنسي. وبدأ حجـــم نـــشاط الإرسالية الإنجليزية، يتراجع ويتناقص إلى أن صدرت التعليمـــات من (لندن)، بوقف نشاط الإرسالية الإنجليزية فى مصر، موقفـــاً !! وبالفعل أغلقت الإرسالية الإنجليزية، أبوابها رسمياً فى عام ١٨٦٢. مع أن المنصر (جاردنر)، والذى كـــان مـــن أبـــرز عناصـــرها، وأعرفهم باللغة العربية، والذى كانت له اليد الطولى فـــى تأســـيس فرع مصر لجمعية إتحاد الكنائس، وإنشاء أقسام مـــصرية لجمعيـــة إتحاد الشباب المسيحية، كان لا يوافق على هذا الانـــسحاب، أمـــام النفوذ الفرنسي، والانحسار عن مصر.

وهكذا، بإغلاق الأبواب الإرسالية التنـــصيرية الإنجليزيـــة، ستظل المحاولات التنصيرية الإنجليزية، بعيداً عـــن عملهـــا فـــى مصر، إلى أن تعود – مرة أخرى – فى عام ١٨٨٢، تحت رايـــات جيش الاحتلال البريطانى، وفى أعقاب جنوده. لتعمل بحرية تامـــة، ودون قيود، وبلا منافسة فرنسية!!

٥/٥ : الإرسالية الفرنسية([١])

تعود جهود الإرساليات التنصيرية الفرنسية، للعمل فى مصر – إلى بداية العمل الاستشراق. حيث كانت اهتمامات فرنسا، بدراسة

([١]) السابق ص ٣٩ – ٤٤ .

اللغة العربية، "بوصفها لغة عالمية تفيد فى التعامل مع المـــصريين، (...) ، والمغاربة والسوريين والأتراك، ومن يجيـــدها يـــستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس.

والذى لا جدال فيه أن التنصير يتفق تماماً مع الإستـــشراق، ولذلك يحتم معرفة لغات من يراد تنصيرهم. وقد كان هناك إقتنـــاع تام لدى دعاة التنصير الفرنسيين، منذ القرن الثالث عشر؛ بضرورة تعلم لغات المسلمين، إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تـــؤتى ثمارها بنجاح. ولم يكن من السهل – فى أى وقت مـــن الأوقـــات – فصل الاستشراق عن التنصير، فهما وجهان لعملة واحدة !!

وقد كان من بين الدعاة الفرنسيين، المتحمسين، الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنـــصير، (روجـــر بيكـــون ١٢١٤م – ١٢٩٤م)، حيث كان يرى هذا الرجل، "أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحى". كمـــا كان يرى، ضرورة معرفة اللغات الضرورية لبلوغ هذه الغاية. وقد شارك (بيكون) فى أفكاره (ايموند لول ١٢٣٥م – ١٣١٦م)، الذى كان هدفه التنصير، عن طريق إقناع المـــسلمين بلغـــتهم، بـــبطلان الإسلام وإجتذابهم إلى الدين النصرانى.

ولقد صادق مجمع (فينا) الكنسى فى عـــام ١٣١٢م ، علـــى أفكار (بيكون ولول)، بشأن تعلم اللغات الإسلامية، وتمت الموافقـــة على تعليم اللغة العربية، فى خمس جامعات أوربية مسيحية، هـــى جامعات باريس، واكسفورد وبولونيا، وسلمنكا، وجامعـــة المدينـــة البابوية (روما). وبطبيعة الحال، كلها مراكز تنصيرية خطيرة فـــى

العالم- فى ذلك الوقت- وعند هذا الأمر، كـــان (رايمونـــد لـــول)، "يعتقد أن الوقت قد حان لإخضاع المسلمين عن طريـــق التنـــصير، وبذلك تزول العقبة الكبرى التى تقف فى سبيل تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية".

وبدأت فرنسا تستعد لبدء عملها التنصيرى فى مصر، عندما أنشأت فى عام ١٥٣٩م، أول كرسى للغة العربية فى (الكـــوليج دى فرانس) بباريس. وقد شغل هذا الكرسى(جيوم بوستل)، الـــذى زار مصر والشرق الإسلامي، فى عـــام ١٥٨١م؛ حيـــث قـــام بجمـــع مجموعة هامة من المخطوطات الإسلامية. وبذلك يعتبـــر (جيـــوم بوستل) أول المنصرين الفرنسيين الذين وفدوا إلى مصر والـــشرق الإسلامي، حيث له جهود ملحوظة فى هذا المجال.

وعند منتصف القرن الثامن عشر، قامت الحكومة الفرنسية؛ بإنشاء (مدرسة اللغات الشرقية الحية)، فـــى مـــارس ١٧٩٥، فـــى محاولة جادة من جانب فرنسا، التى كانت تعتبر نفسها كبرى بنـــات الكنيسة الكاثوليكية، لإعداد الكـــوادر اللازمـــة لحركـــة التنـــصير الفرنسية، وفى نفس الوقت – تقريباً – كانت مصر قد لفتت أنظـــار فرنسا والعالم الأوروبي المسيحي، خاصة بعـــد أن خرجـــت مـــن عزلتها السياسية والفكرية، وأخذت توفد بعثاتها التعليمية للخـــارج، وبصفة خاصة إلى باريس، وبطبيعة الحال، أخـــذ العـــالم العربـــي المسيحي، يضاعف من عدد بعثاته الدينية والثقافية والاقتصادية إلى مصر التى كانت ترحب بكل هـــؤلاء الوافـــدين – تحـــت ضـــغط الامتيازات الأجنبية – ومع هؤلاء الوافدين – والـــذين كـــان فـــى

مقدمتهم الفرنسيين، جاء إلى مصر لفيف من رجـال الإرسـاليات التنصيرية، "فى حقل جديد، ويعتبر خصباً لنشاطهم".

ولما كانت فرنسا تعتبـر نفـسها كبـرى بنـات الكنيـسة الكاثوليكية، فإنها حملت على عاتقها مهمة نشر المسيحية فى الشرق الإسلامي؛ وكانت البداية فى مـصر. فعنـدما وصـلت (الحملـة الفرنسية) إلى الإسكندرية، فى ٢٨ يونية عام ١٧٩٨، كانت برفقتها مجموعة من العلماء، بلغوا (١٧٥ عالماً)، كان من بيـنهم أعـضاء بعض الهيئات المهتمة بالدراسات الخاصة، بما وراء البحار، وعدد من المستشرقين، الذين درسوا اللغة العربية، فى مدرسـة اللغـات الشرقية الحية، بباريس؛ لوضع أسس أول إرسالية تنصيرية فرنسية فى مصر.

وكان بابوات روما، قد حاولوا إخضاع الكنيسة القبطية فـى مصر، وإجبارها على الاعتراف برياستهم، وذلك بما أرسلوا مـن رهبات فرنسيسكان إلى مصر – حتى قبيـل الحملـة الفرنـسية – وتوغلوا فى الصعيد حيث يكثر الأقباط. وبلغ بهم الأمـر أن كـان الفرنسيكان يمسكون بالأطفال المسلمين ويرسـلونهم إلـى (رومـا) لتعليم المسيحية الكاثوليكية.

على كل حال.. كان بين هـؤلاء المستـشرقين الفرنـسيين، الذين وفدوا مع الحملة إلى مصر، (مارسيل) الذى قـام بالإشـراف على إحدى المطبعتين، وقام هذا الرجل بدراسة الشعر العربى، فـى القاهرة. وقد ضبط هذا المستعرب، أثناء ثورة القاهرة فى أكتـوبر ١٧٩٨، ضد الوجود العسكرى الفرنسي، بسرقة مخطوطـاً راعـاً

للقرآن الكريم، يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر، من خزائن الجامع الأزهر. هكذا كان نشاط أول مجموعة فرنسية تنصيرية، جاءت تحت ستار الاستشراق.

المهم، أنه منذ ذلك التاريخ، غدت فرنسا فى مصر، أفضل تمثيلاً قنصلياً ودبلوماسياً من غيرها من الدول الأجنبية الأخرى. فكان لها قنصل عام يسكن (القاهرة)، وقنصليتان فى ثغرى (الإسكندرية)و (رشيد)؛ بينما كان لإنجلترا قنصلية واحدة فقط فى القاهرة).

وكان أول اتصال حكومى بين إرساليات التنصير الفرنسية وبين مصر، فى عهد محمد علـى(١٨٠٥ – ١٨٤٨)؛ فعندما زار (الأب إتين Etienne pere) ، الرئيس العام للعازرين فى سوريا، مصر على رأس بعثة (تبشيرية) فى عام ١٨٤٠. عرض عليه (محمد على)، إنشاء بعض المدارس، فى محاولة لتطوير التعليم فى عهده، وبطبيعة الحال، وجدها المنصر (لإتين) فرصة ذهبية، فاستجاب على الفور لطلب (محمد على) ، من ناحية، ولرغبات الإرسالية الفرنسية ، من ناحية أخرى ، التى كانت ترى ضرورة إقامة مراكز(تبشيرية) فى الأقاليم المصرية. وأخذ المنصر الفرنسي يتوسع فى إقامة المدارس (الكاثوليكية) الفرنسية، كمدخل طبيعى ومنطقي للعمل التنصيرى فى مصر.

وقد أنشأت الإرسالية الفرنسية، أول ثلاث مدارس (كاثوليكية) فرنسية فى عهد محمد على، هى (مدرسة الراعى الصالح (بون باستور) للبنات فى القاهرة عام ١٨٤٥، ومدرسة

فتيان الإحسان فى ذات العام، ثم مدرسة (اللعــازريين) فــى عــام ١٨٤٦). ومع هذه المدارس، أخذت عملية التعاون، تأخذ طريقهــا إلى مدن وقرى الصعيد، بين الرهبان والراهبــات الفرنسيــسكان، الذين مارسوا نشاطاً تنصيرياً خطيراً، تحت ستار التطبيب، وحتــى وقت قريب جداً، كانت مدن الصعيد، لا تخلوا من (مراكــز طبــى) يعمل فيه الرهبان والرهبات الفرنسيسكان، وإمتد هذا النــشاط إلــى بقية مدن وقرى الوجه البحرى.

ولم يلبث أن ظهر صراع النفوذ بين فرنسا وانجلترا – كمــا قلنا – فى ميدان الإرساليات التنصيرية، فحاولت(جمعية إرســاليات الكنائس) الإنجليزية، أن تنافس الانتشار التنصيرى الفرنــسى فــى مدن وقرى مصر، بفتح عدد من المدارس، ولكــن كانــت الغلبــة للفرنسيين الذين كانوا قد انتشروا فى البلاد، من خــلال مدارســهم ومراكزهم الطبية، يمارسون من خلالها التنصير بين المسلمين.

وعندما تولى عباس الأول، ولاية مصر(١٨٤٨ – ١٨٥٤)، كان شديد الكره للأجانب، وقد يعزى هذا إلى شدة حقده عليهم؛ وقد شاهد بنفسه أنهم فضوا آمال جده (محمد على) الواسعة، وحرمــوه ثمرة انتصارته وتضحياته. وكان (عباس) يعتقد، أن معظم أولئــك الأجانب الذين وفدوا إلى مصر، لم يكونوا إلا من أحط الأوســاط. ولذلك كان يعمل على طردهم بكافة الطرق، من البلاد، ثــم جعــل نفسه بمعزل عنهم، لا يقابل إلا عدداً محدوداً من قناصــل الــدول الأوروبية، مما جعل الكثيرين، بينهم يذمونه ويرمونه بالتعصب!!

ولذلك لم تمارس الإرساليات الفرنسية الكاثوليكية، أية نشاطات تنصيرية ملحوظة على عهد (عباس الأول)، خشية من عداوته للأجانب عموماً وإنما راحت فى نفس الوقت، تنشأ المدارس، متذرعة بالمساهمة فى تنمية الحركة التعليمية فى مصر. وأخذت الإرسالية الفرنسية تتوغل أكثر وأكثر، فى صعيد مصر. ونجحت هذه الإرسالية بالتعاون مع الرهبان الفرنسيسكان، فى عام ١٨٥٠ فى افتتاح مدرسة للآباء الفرنسيسكان فى منطقة (نقادة) وبعد ثلاثة أعوام، واصلت نجاحها، وأنشأت مدرسة أخرى فى (جرجا) فى عام ١٨٥٣. وبعد هذا التمركز المتعمد فى جنوب البلاد، توجهت جهود الإرسالية الفرنسية إلى الوجه البحرى.

وأخذت تكشف جهودها فى (بور سعيد)، فأنشئت بها(مدرسة الراعى الصالح) الداخلية فى عام ١٨٥٣، ثم أضافت نهاية عهد (عباس الأول) مدرسة (الفرير) عام ١٨٥٤ ، فى القاهرة([1]). وكانت مدرسة كاثوليكية فرنسية خطيرة، وقعت بها عدة حوادث تنصير لصبيه من أبناء المسلمين.

وكانت حكومة فرنسا، تساند، وبصفة مباشرة، جهود الإرسالية التنصيرية فى مصر، وكانت حكومة (جيزو) الفرنسية، تسبغ عطفها المعنوى والمادى على كل العاملين فى هذه المدارس الفرنسية بمصر.

٦/٥ : عهد محمد سعيد (١٨٥٤ – ١٨٦٣) وموقفه من النشاط التنصيرى

([1]) تاريخ مصر الحديث محمد عبد الرحيم مصطفى ص ١٨١ ، ط دار المعارف القاهرة ١٩٥١ .

وعندما اغتيل (عباس الأول) فى قصره بمدينة (بنها)، وخلفه عمه (محمد سعيد)، الذى حكم من (١٨٥٤ – ١٨٦٣)، قيل أن الأجانب (الفرنسين)، كانت لهم يداً طولً فى مقتله. على أية حال.. عندما تولى (محمد سعيد) الحكم فى ١٢ يوليو ١٨٥٤، انتهج سياسة مع الأجانب، كانت على عكس سياسة (عباس الأول)؛ فكان (سعيد) يميل إلى عشرة الأجانب ، ويكرم مثواهم، ويحسن وفادتهم. وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن سعيد تربى تربية فرنسية. لذلك زاد عدد توافدهم إلى البلاد فى عهده، وكثرة اختلاطهم بأفراد الشعب. وبطبيعة الحال، تزايد نشاط المنصرين عامة، والفرنسيين منهم، بصفة خاصة، لأن سياسة سعيد، قد فتحت الباب أمام مىء مزيد من المنصرين الفرنسيين. وكان قيام مدارس الإرساليات الأجنبية، كما لم يمثل أكبر ظاهرة سائدة فى السياسة التعليمية فى مصر، فى ذلك العهد، كما لم يحاول (سعيد)- الذى كان منفتناً على النفوذ الفرنسي، أن يفعل شيئاً – لحد من هذه الظاهرة – بإعادته فتح المدارس الابتدائية والإعدادية الحكومية، مفضلاً ترك هذه المهمة لإرسالية التنصير الأجنبية([1]). وبذلك يكون الخديوى (محمد سعيد) قد اهتدى للإرساليات التنصيرية الأجنبية خدمة جليلة، وهى منحهم حرية فتح مراكز التنصير فى البلاد، بلا رقابة حكومية.

ويقول أحد المنصرين عن (سعيد)؛ "أن الأجانب مدينون بالكثير لحكم سعيد باشا، حيث وضعت الإرساليات (التبشيرية) أثناء عهده، أسس عملها- تلك الأسس التى لم يكن من المستطاع – بعد

([1]) نهضة مصر أنور عبد الملك ص ١٦٤ .

ذلك – هدمها بواسطة أشد المقاومات عنفاً من جانب الحكام المدنين والدينيين مجتمعين". ويبدو أن هذا المنصر، كان يغفل جانب القوى الشعبية الإسلامية، والتى ستقاوم هذه الإرساليات أشد المقاومة فيما بعد !!

على أية حال.. كان سعيد، بغباء، قد أغدق العطف المعنوى والمادى، على المنصرين فى مصر. وإن كان البعض يعتقد، أن هذا العطف جاء من جانبه، ودون قصد؛ المهم أنه منحهم الكثير من الامتيازات التى كانوا لا يحلمون بمثلها على الإطلاق. ويتحدث أحد هؤلاء المنصرين عن "الكرم الذى أظهره (سعيد) حيال المدارس التنصيرية الأوروبية، التى لولا المساعدات الأميرية، التى كان يقدمها إليها، ما استمرت"، فى القيام بمهمتها ضد الإسلام والمسلمين فى مصر.

ويصف آخر (سعيد)؛ "بأنه القديس الحامى للإرساليات، وبصفة خاصة الإرسالية الأمريكية". ويقدر ثالث؛ أنه بغض النظر عن المبانى الحكومية، التى تنازل عنها (سعيد)، للإرساليات التنصيرية، فإن المبالغ المالية التى وهبها لمدارس الفرير بالقاهرة، ومدارس الإيطاليين (الرهبان) بالإسكندرية، كانت على الأرجح تفوق ما تم صرفه على ميزانية التعليم الحكومى (العمومى) خلال فترة حكمة الطويلة".

والحقيقة، لم يكن (سعيد) وحده، هو الذى قدم الخدمات الإرساليات، وإنما – كذلك – رجال العمال وأصحاب المهن، من الأجانب، والإرساليات التنصيرية مدينة لكل هؤلاء، لما كانوا

يزودنهم به من المشورات والنصائح. وعلـــى ســبيل المثـــال – لا الحصر – فقد إقترح هؤلاء، أصحاب الأعمال الأجانب، "أن تقـــدم الإرساليات الأجنبية بطلبات للخديوى سعيد ليمنحها منزلاً أو قطعة أرض تشيد عليها مقراً دائماً لها فى مصر". وكان هـــذا الاقتـــراح بداية تملك الإرساليات أراض أو عقـــارات بمعاونـــة الحكومـــة أو السلطة فى مصر.

وبالفعل وافق (سعيد) على إهداء مقر دائم، لبيت (الأخـــوات الفرنسيسكان) فى القاهرة، عام ١٨٥٩. وسمح – كذلك – للإرسالية الفرنسية، خلال الفترة من ١٨٥٥ – ١٨٦٣، بإنشاء عشر مـــدارس للفرنسيسكان بالوجه القبلى والوجه البحرى، وامتدت هذه المـــدارس من (قنا) إلى (بور سعيد) وأغدق عليها بلا حساب!!

وقد تراوح عدد المدارس الأجنبيـــة التنـــصيرية، الأوليـــة والإعدادية فى عام ١٨٦٣ – نهاية عهد سعيد – ما بـــين ٣٢ و ٣٧ مدرسة، منها ثلاث مدارس غير دينية. ويقدم (ســـعيد) – كـــذلك – منحاً مالية وعينية سخية للكنائس التابعة للإرســـاليات التنـــصيرية، جميعها. وإن كان قد خص الإرسالية الفرنسية، فإنه كـــان لا يقبـــل التنافس بين الإرساليات. الطريف أن الـــبعض، راح يـــدعى "بـــأن سعيد، كان يستهجن التعصب والاضطهاد الدينى فـــى كثيـــر مـــن الأحيان" وكيف لا .. وهو ربيب الثقافة الفرنسية!!

لقد كان (سعيد) فرنسياً فى كل سلوكياته، لقد شجع الفرنسيان (فانسون بنامـــسون Vincent Penasson) و (أنطـــون مـــوريس Antoine Morice)، بالأموال اللازمة من أجـــل إنـــشاء مطـــابع،

بدعوى إثراء النهضة الفكرية. وإنما كان هـــدفها الأول والأخيـــر، خدمة الحركة التنصيرية الفرنسية، بصفة خاصـــة، والإرســـاليات الأجنبية الأخرى، بصفة عامة. فأنشأ (فانسون) مطبعته فـــى عـــام ١٨٥٨ بالقاهرة، لخدمة المنصرين ونشاطهم فى هـــذه العاصـــمة، والوجه القبلى. وأنشأ (أنطون موريس) مطبعته فـــى عـــام ١٨٦٠ بالإسكندرية، لخدمة نشاط الإرســـاليات التنـــصيرية، فـــى الوجـــه البحرى، وإن كانت هاتين المطبعتين تقومان بطبع الكتب المدرسية الفرنسية التى كانت تطلبها مدارس الإرسالية الكاثوليكية، فإنها فـــى ذات الوقت، كانت تسمح بطبع ما ترغب فيه الإرساليات عامة، من مادة علمية ودينية، بقصد زعزعت التلاميذ فى عقيدتهم الإسلامية. وبطبيعة الحال، كان كل هذا يحدث بعيداً عـــن مراقبـــة الحكومـــة والسلطات المصرية. إنها ثمار (إنعامات) الخديوى سعيد!!

ولم يقتصر عطاء الخديوى (سعيد) على هذا فقط، وإنما أمتد إلى مزيد من دعـــم نـــشاط الإرســـاليات الفرنـــسية، "باســـتعانته بالمسيحيين الفرنسيين، الذين كانت تشكلهم وتـــوجههم الإرســـاليات الكاثوليكية". فقد استخدمهم كمستشارين له، فى أدق الأمور.

وفوق كل ذلك؛ فإن (سعيد) قد اتخذ فـــى عـــام ١٨٦٠ كـــل الاحتياطات اللازمة، لحماية المنصرين الفرنسيين والأجانـــب فـــى مصر، بمناسبة المذابح التى حدثت بين (الموازنة)و (الـــروز) فـــى جبل لبنان وسورية، مما أدى إلى التجاء حوالى خمسة آلف مسيحى من أقاليم الشام إلـــى الإســـكندرية. معظمهـــم دخـــل فـــى حمايـــة الإرساليات التنصيرية الأجنبية.

هكذا كانت الإرساليات الفرنسية، تمارس نشاطها التنصيرى، بحماية والى مصر(سعيد). لقد كانت تلك الفترة، تمثل قمة حملات الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانيتة على مصر، كما أن المسيحيين الأجانب، وبعض المصريين يدينون لسعيد، باندماجهم الكامل فى جسد الأمة المصرية الإسلامية، وليس كما يدعى البعض: "أن هدف البعثات (التبشيرية) كان تحويل الأقباط المصريين إلى الكاثوليكية والبروتستانتية".

وإذا كان عهد (سعيد) قد وضعت خلاله الإرساليات التنصيرية الأجنبية، أسس عملها الهدام ضد الإسلام والمسلمين المصريين؛ فإن عهد خليفته (إسماعيل باشا) ١٨٦٣-١٨٧٩ ، قد تم خلالها تتويج كل هذه الأسس، وتلك الرعاية التى حظيت بها الإرساليات فى عهد سلفه – وسوف نعرض لذلك عند الحديث عن الإرساليات الأمريكية). ويتوج كل هذه الرعاية للإرساليات التنصيرية، تنصيب إسماعيل أكبر أبنائه، وولى عهده (محمد توفيق) راعياً للمدارس الحرة المجانية، التى كانت تدار بواسطة الإرساليات، بطبيعة الحال، وإيفاده فى كثير من الأوقات لحضور احتفالات توزيع الجوائز فى بعض مدارس الإرساليات الأجنبية بالإسكندرية.

لقد كان للامتيازات الأجنبية، والمنح والهبات التى أعطاها ولاة وحكام مصر – بلا حدود وبغباء – للأجانب وإرسالياتهم التنصيرية، نتائجها المباشرة على الإسلام والمسلمين فى مصر، وعلى تكوين الفكر المصرى، وحتى اليوم. فقد بذل هؤلاء الحكام

جهوداً كبيرة، فى سبيل إرضاء الإرساليات الأجنبية، وتشجيع رعاياها. وكان من مظاهر هذا التشجيع تلك المدارس الأجنبية، التى كانت مراكز تنصيرية خطيرة؛ ولمنح العطايا – كما سنعرض لذلك عند الحديث عن (الإرساليات الأمريكية). لقد كان اعتقاد هؤلاء الحكام المصريين، والحكومات المتعاقبة، أن عمل (البعثات التبشيرية) هو السعى إلى نشر الحضارة بين أهالي مدن وقرى القطر المصرى فى جنوبه وشماله، اكثر مما هو محاولة تحويل المسلمين فى هذه المناطق – الصعيد بالذات – إلى المسيحية، ونشرها بينهم" ومن هنا كان الحكام والحكومات المتعاقبة – يتوقعون أن تهتم الإرساليات الأجنبية التنصيرية، بالعمل الاجتماعي والتربوى أكثر من اهتماماتهم بالعمل على تحويل المسلمين إلى المسيحية واعتناقها. غير أن الإرساليات الأجنبية، جعلت من هذه المهمة الأخيرة، هدفها الرئيسى، وذلك دون تقلل من اهتمامهم بالتعليم، باعتباره واجهة تخفى وراءه هدفها الخطير. فقد كان إنشاء الكنائس الجديدة فى مصر، يسير جنباً إلى جنب المدارس دائماً، وفى أغلب الأحيان كان يضمهما مبنى واحد.

مما سبق عرضه، يتضح مدى الرعاية، التى كانت تتلقاها الإرسالية الفرنسية التنصيرية، وغيرها من الإرساليات الأخرى، من جانب ولاة الأمور، وحجم التشجيع الذى كانت تحاط به، ومدى الحرص على تجنب كل ما من شأنه أن يؤدى إلى حدوث اضطهاد أحد رعاياها. وبطبيعة الحال، كانت نتائج هذه السياسة اللينة المتسامحة، إلى درجة الإفراط، أن تزايدت أعداد مراكز التنصير

الأجنبية فى البلاد، وأخذ نشطها الهدام ضد الإسلام والمسلمين، يستشرى فى المدن الكبرى، وغالبية القرى والنجوع المصرية فى جنوب القطر، وشماله([1]).

٥/٧ : جهود الإرسالية الأمريكية (بداية النشاط التنصيرى الأمريكي فى الدول العثمانية) :

يعود اهتمام الولايات المتحدة؛ بممارسة النشاط التنصيرى – تحت ستار التعليم – فى البلاد العربية، وبلدان الشرق الأقصى، بصفة عامة، إلى الوقت الذى نزعت فيه الحركة التعليمية فى الولايات المتحدة إلى عدم الاستقرار داخل حدودها. وأخذت تتجاوزها إلى المناطق التى لم تتهيأ لها الفرصة، للأخذ بأساليب (الحضارة الحديثة)، وإنشاء نظم تعليمية خاصة بها، كالصين واليابان والهند، وبلدان (الشرق الأدنى). غير أن هذه الحركة الأمريكية – التعليمية – التى قام بها (المبشرون)، على اختلاف صورهم من كاثوليك وبروتستانت ، اتخذت "صبغة دينية". هدفها محاربة الإسلام فى كل هذه المناطق، التى أنتشر فيها لإسلام سريعاً، وأصبح حقيقة قائمة فى الحياة اليومية، فلفت بقوته أنظار رجالات اللاهوت الأمريكيين.

وجاء بدء الاهتمام فى الربع الأول من القرن التاسع عشر، عندما أستقر رأى (اللجنة الأمريكية للإرساليات الأجنبية للكنيسة المذهبية الموحدة

([1])النشاط التبشيري الأمريكي في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٣ المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٧ القاهرة ١٩٨١ص ٢١٦ – ٢٧٨ .

American Board of Commissionaries for foreign missions of the congregatiotal church)

على إقامة مركز (تبشيرى) فى الإمبراطورية العثمانية، التى كانت تضم فى ذلك الوقت ٣٥، مليون مسلم، وتشغل مساحة ضخمة، تمتد عبر قارات ثلاث، وتحتل مكانة متميزة لتزعمها العالم الإسلامي. ويحلوا للبعض أن يطلق على هذه اللجنة الأمريكية التنصيرية، اسم المجلس الأمريكي لمندوبى البعثات التنصيرية الأجنبية) ؛ على كل حال تجمع المصادر على أن هذه اللجنة الأمريكية التنصيرية، تأسست فى عام ١٨١٠ بمدينة (بوسطن)، وبعد تسع سنوات من تأسيسها أرسلت أول منصريها إلى منطقة الشرق الأدنى) ، واتخذوا من جزيرة (مالطة) مركزاً لهم. ثم بدأ التجول فى شاطىء البحر. وذهب بعض المنصرين الأمريكيين إلى القدس، ثم أنتقل نشاطهم التنصيرى إلى بيروت حيث التركيب الطائفى الذى يميز تلك المنطقة، والذى هو المنطلق الخصيب لحركة التنصير الأمريكية، وأهم المناطق مرتكزاً للتدخل الأجنبي، وفيها ظهرت حركة التنافس الشديد بين الإرساليات الأجنبية التنصيرية.

ففى نهاية عام ١٨١٨ كلفت اللجنة الأمريكية للإرساليات، كل من؛ (ليفى برسونز Levi parsons) و (يلينى فيسك pliny Fisx) ، بمهمة إقامة ومركز تنصيرى أمريكى فى الشرق الأدنى. وأبحر الرجلان، فى ٣ نوفمبر ١٨١٨، من بوسطن، على ظهر المركب الأمريكى (سالى آن Sally Ann، قاصدين جزيرة مالطة)

فى البحر المتوسط، حيث أقيم بها أول مركز (تبشيرى) عرف باسم (الإرسالية الفسطينية Palestine Mission) وكانوا قد أسسوا هـــذه الإرسالية فى ٢٣ ديسمبر عام ١٨١٩.

ولكن سرعان ما دعت إستراتيجة التنصير الأمريكى، إلـــى مزاولة نشاطها فى (بر الشام)، فصدرت الأوامر – فى عام ١٨٢٠ – لنفس الرجلان، بالإنجاز إلى (أزميـــر) فـــى ٩ ينـــاير ١٨٢٠، فوصلاها فى ١٥ يناير من ذات العام. وتوجهـــا بعـــد ذلـــك إلـــى (بيروت)، بإعتبارها كانت مدينة على درجة عالية مـــن الأهميـــة، لنشاطهم، حيث التعدد الطائفى بها، ولوقوعها فـــى وســـط (العـــالم العربى)، ويمكن نشر النشاط (التبشيرى) منها إلى كل أنحاء الأقاليم الناطقة بالضاد. وقد أستقر الرجلان بها.

ولما كانت (فلـــسطين) هـــى الهـــدف الأول، لإســـتراتيجية التنصير الأمريكى؛ فأنه قد تم فتح أول مقر للإرسالية الأمريكية فى (بيت المقدس) عام ١٨٢٣. غير أن هذه الإرسالية، واجهت العديـــد من المصاعب والعقبات فى أثناء ممارسة نشاطها التنصيرى هناك، فاضطرت إلى إغلاق أبوابها فى عام ١٨٢٧. ولكن الاســـتراتيجية الأمريكية للتنصير لم تتقاعس، وأخذت تسعى جاهدة لإنشاء مراكز تنصيرية جديدة، فى سوريا عام ١٨٢٥، وفى (أزمير) عام ١٨٢٨. غير أن اضطراب الأحوال الداخلية فى الدول العثمانيـــة – بـــسبب ثورة اليونان ضد السلطان العثمانى، وإثارة النزاع بين والى مصر (محمد على) وبين السلطان العثمانى بشأن الاســـتقلال – أدى إلـــى غلق كل هذه المراكز التنصيرية الأمريكية فى عام ١٨٣٠.

ولكن بعد أن توصلت حكومة الولايات المتحدة إلى عقد (اتفاق ودى تجارى)، مع الدول العثمانية فى عام ١٨٣٠، أعيد فتح المركز الأمريكي التنصيرى فى (بيروت) عام ١٨٣١. وهو العالم الذى تميز ببدء مرحلة جديدة، فى استراتيجية التنصير الأمريكي، تجاه الدول العثمانية، حيث أعيد فتح المركز التبشيرى) فى أزمير – بعد ذلك – فى عام ١٨٣٣. ونشطت بعد ذلك أعمال الإرسالية الأمريكية، فأنشئت مراكز (تبشيرية) أخرى، فى (طرابزون) وفى (بروسه Bursa)، عام ١٨٣٤، وفى (كلية روبرت Robert college) ، عام ١٨٦٣.

وأخذت الإرسالية الأمريكية تزاول نشاطها التنصيرى، بين أوساط المسلمين، بشكل ملحوظ، عندما استقر المصريين فى الشام على عهد (والى مصر)، وبيد إبنه إبراهيم)، الذى كان ينتهج سياسة التسامح الدينى. وأخذ عمل هذه الإرسالية الأمريكية طريقة إلى مجالين أساسين: إنشاء المدارس والمعاهد البروتستانيتية والكاثوليكية، وتأليف الجمعيات. وقد استعانت الإرسالية الأمريكية، فى أعمالها ببيروت بتلاميذها وأصدقائها من المسيحيين، ونقلت مطبعتها من مالطة إلى بيروت فى عام ١٨٣٤، لطبع الإنجيل، وترجمته إلى العربية.

وعندما أخذ نشاط الإرسالية الأمريكية فى (بر الشام) يتزايد، كان نشاط الإرسالية الأخرى، فى بيروت والقدس ولبنان، قد أخذ شكلاً منافساً للإرسالية الأمريكية؛ فقد إفتقى المنصرون الفرنسيون الكاثوليك، أثر البروتستانيت الأمريكيين فى (بر الشام)و عندما

أنشأت الإرسالية الأمريكية، فى بيروت (الكلية السورية البروتستانتية) فى عام ١٨٦٦، والتى عرفت فيما بعد باسم (جامعة بيروت الأمريكية)، لتربى فيها الكوادر التنصيرية من كافة الدول العربية الأخرى، لحمل رسالة (التبشير)، وشرعت الإرسالية الفرنسية، فى إنشاء (كلية القديس يوسف) الكاثوليكية فى بيروت. ومن خريجى هذه الإرساليات انطلقت البعثات التنصيرية التى وفدت إلى مصر.

ولما أخذت مدارس الإرسالية الأمريكية تنتشر فى أقاليم الشام، شعرت الدول العثمانية، أن خريجى تلك المعاهد والمدارس الأمريكية، عناصر هدامة تعمل فى كيان الدولة؛ فاضطر السلطان العثمانى إلى الاعتراف بالبروتستانيتة كمذهب دينى جديد، فى دولته، بمقتضى فرمان عام ١٨٥٠.

ويذكر (ليلاند جيمس غودون) ؛ "ومنذ عام ١٨٦٣ أخذت أعمال (التبشير) فى الانتشار داخل أقاليم وولايات الإمبراطورية العثمانية، وبحلول عام ١٨٦٩، كان يوجد فى أنحاء (تركيا) ٢١ مركزاً (تبشيرياً)، تضم ٤٥ من رجال الإرساليات، يعاونهم عدد كبير من الأرمن، وإلى جانب هذه المراكز ، كان يوجد مالا يقل عن ١٨٥ مدرسة، إلى جانب الكنائس الكثيرة التى شيدت فى كافة أنحاء (تركيا). وسوف يمتد العمل التنصيرى الأمريكي من الشام إلى مصر.

هكذا بدأت الإستراتيجية الأمريكية التنصيرية، فى التمركز بالمواقع الحيوية والضرورية، لضرب الإسلام فى قلب دولة

الخلافة الإسلامية، الدولة العثمانية. ومن هذه المراكــز الحيويــة، انطلقت جيوش التنصير الأمريكية، إلى مصر التــى كانــت تمثــل القيادة الفكرية للعالم الإسلامي فى ذلك الوقت. ولأن مــصر هــى مركز الثقل فى العالم الإسلامي كله، وكل ما يثار فيها من تيــارات إنما يكون عاملاً عاماً للتأثير على مختلف الأجزاء. وسوف نــرى كيف بدأ العمل التنصيرى الأمريكي فى مصر.

لقد قدمت الإرساليات التنصيرية الأمريكية من لبنــان إلــى مصر، شخصيات حملت لواء الفكر العربى المسيحى، وقادته حيــث سيطرت على وسائل الثقافة والصحافة وكان لهــا أثرهــا البعيــد المدى، كما سنعرض لذلك([1]).

٨/٥ : الإرسالية الهولندية:

كانت أقل إرساليات التنصير أهمية فى القطر المصرى. فقد توطنت فى (قليوب)، وضمت فى مدارســها المتعــددة مــن كــل المذاهب والمسلمين. وتقوم هذه الإرسالية، بنــشر (الإنجيــل) فــى القرى، بواسطة بائعى الكتب. ومن أعمالهــا أنــا أنــشأت (ملجــأ) للأيتام، كان مركزاً خطيراً لتنصير الأطفــال والبنــات واليتــامى، المسلمين. وكانت عنايتها فائقة للأطفال المسلمين والأقبــاط علــى السواء.

وقد بدأ نشاط الإرسالية الهولندية فى عام ١٨٧١، بينما يذكر البعض: "أن بداية وفود الإرسالية الهولندية إلى مصر، كــان عــام ١٨٨٦، حيث بدأت نشاطها بإنشاء مدرسة ابتدائية للبنين والبنــات

([1]) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر ص٥٠ وما بعدها.

فى منطقة (القناطر الخيرية". ومن داخل هذه المدرسة المـــشتركة، انطلقت قوافل التنصير الهولندية.

وفى عام ١٨٧٤ أسس المنصر الهولندى (بـــنجس)، ملجـــأ للأيتام فى (قليوب)، كان له دور خطير فـــى تنـــصير عـــدداً مـــن الأطفال والبنات المسلمين. وفى عـــام ١٩٠٢ أنـــشأت الإرســـالية الهولندية، كنيستها، أيضاً فى (قليوب)؛ ومدرسة أخـــرى. وعيـــادة طبية. وكان أعضاء الإرسالية الهولندية فى مصر، (ستة أفراد فقط) ، هم (فلينجر ، سبلينار ، بنجس ، بايل ، وقد توفى فى عام ١٩٤٢ ودفن فى قيلوب، مس كات (وصلت فـــى عـــام ١٩٣٠ وغـــادرت مصر فى عام ١٩٥٠)، القس كورسلمان).

وفى عام ١٩٥٤ أغلقت مدارس الإرسالية الهولندية، وكذلك (العيادة الطبية) فيما بعد – بسبب عدم معرفة الأطبـــاء الهولنـــديون للغة العربية.

المبحث السادس

مؤتمرات التبشير

يعقد المبشرون كثيراً من المؤتمرات فى العالم الإسلامي لرسم الخطط التبشيرية المناسبة وتقويم العمل فى الفترات السابقة ومحاولة معالجة ما شابها من قصور أو تقصير، هذا بالإضافة إلى وضع المؤلفات المستقلة التى ألفها المبشرون لوضع خريطة كبرى للتبشير العالمي على مستوى جميع الشعوب غير المسيحية، ومن أهم هذه المؤلفات ذلك البحث الخطير الذى كتب مقدمته المسيو "شاتيليه" وضمنه مجلة "العالم الإسلامي" الفرنسية المصورة فأصدرت هذه المجلة عدداً ضخماً سنة ١٩١١م ليس فيه غير هذا البحث الضخم الذى وضعه "**شاتيلية**" وكان يدور كله حول ما تقوم به الإرساليات التبشيرية البروتيستانية في العالم الإسلامي و تضمنت هذه المقدمة الدور الذي تقوم به كلية القديس يوسف اليسوعية في بيروت في نشر تعليم الإنجيل في سوريا ولبنان ، ثم جاء كتاب "**تاريخ التبشير**" للمستر "**أدوين بلس**" البرتستانتي الذي تضمن تاريخ التبشير في العالم الإسلامي، حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ومن أهم الشخصيات التي برزت في تاريخ التبشير الحديث القسيس "**صموئيل زويمر**". الذي كتب بحوثا متعددة عن التبشير ووسائله في جزيرة العرب وقد بين "**زويمر**" في بحوثه أهمية الالتفاف حول جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام، وأشار إلى ضرورة الربط بين مصالح المبشرين في بيروت وسوريا ومكة والمدينة لأن ذلك سوف يمهد للمبشرين النفاذ إلى هاتين المدينتين

المقدستين عند المسلمين ، كما لفت "**زويمر**" نظر المبشرين إلى أهمية الانتشار في جزر ماليزيا وأندونيسيا ليمكن تخليصها من قبضة المسلمين، وأشار إلى ضرورة عقد مؤتمر لمراجعة أعمال المبشرين والتعرف على المشاكل التي يواجهونها ، ووضع الخطط المناسبة في المستقبل([1]) .

٦/١ : مؤتمر المبشرين بالقاهرة سنة ١٩٠٦ م :

اجتمع في هذا المؤتمر معظم الإرساليات التبشيرية في المنطقة برياسة "**زويمر**" وافتتح المؤتمر بتاريخ ٤ إبريل سنة ١٩٠٦م ، وكان عدد مندوبي الإرساليات التبشيرية قد بلغ ٦٢ مندوباً رجالاً ونساءً، وتم انتخاب "**زويمر**" رئيسا عاما للمؤتمر، وكان من أهم المسائل التي طرحت على هذا المؤتمر الأمور التالية:

١ – إحصاء لعدد المسلمين في العالم .

٢ – وضع الإسلام والمسلمين في شرق وجنوب شرق أسيا .

٣ – منهج التعامل مع المسلمين المثقفين والمسلمين العوام .

٤ – دور المرأة وشئون النساء المسلمات .

وقد جمعت أعمال المؤتمر في كتاب مستقل نشر باسم **(**وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين**)** جمعه القسيس "**فلمنج**" الأمريكي وكتب عليه من الخارج عبارة **(**نشر خاصة**)** ليكون قاصرا في تداوله على فئة خاصة من المشتغلين بالتبشير .

([1]) تيارات فكرية معاصرة ص ٩٤ .

وضمن هذا الكتاب بعض التوصيات التي رفعها إلى الحكومات المعنية، ومن أهم هذه الاقتراحات محاولة الالتفاف حول الأزهر في مصر لأنه مفتوح لكل الطلاب من العالم كله وأنه لا يخضع في تمويله لأي حكومة؛ لأن أوقاف الأزهر تدر دخلا كبيرا يساعد العالم والمتعلم فيه، ولابد من العمل على تقليص دوره، ولنبدأ ذلك بإنشاء جامعة نصرانية تشارك في الإنفاق عليها جميع الكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها؛ لأن في التخلص منه مصلحة لجميع الكنائس بلا استثناء ، ولقد قام "**زويمر**" بعمل خريطة أسماها **(خريطة تنصير العالم الإسلامي)** في هذا العصر ووزع أعداداً كبيرة منها على كبار المسؤولين في الحكومات الغربية وكتب على كل نسخة نداء إلى المسؤولين لعله يجد صدى له في أوربا وأمريكا ، وعرض هذه الخريطة على المؤتمر وضمنها كتابه "**العالم الإسلامي اليوم**" وكان من أهم ما نصح به "**زويمر**" في كتابه هذا إثارة بعض المشكلات الاجتماعية وطرحها في الندوات و اللقاءات الثقافية كمشكلة الطلاق والتعدد، وإرث المرأة ولماذا يكون نصف الرجل ، كما أوصى بالعمل على أن يجتهد المبشرون في إيجاد أصدقاء لهم من المسلمين يقومون بنشر الأفكار بين المسلمين ليتحولوا فيما بعد إلى مبشرين بتعاليم المسيح نيابة عن النصارى ومن أهم أعمال زويمر التبشيرية :

١ – تقرير أهداف التبشير الذي قدمه المؤتمر الذي عقد بالهند سنة ١٩١١، وصرح فيه بأن هدف التبشير ليس هو تنصير المسلم فقط وإنما الأهم من ذلك التنكر لتعاليم الإسلام .

٢ – التقرير الذي نشره في ١٢ إبريل سنة ١٩٢٦ م ويشير فيه إلى تلك المجهودات الكبيرة التي بذلها المبشرون والمصاريف الباهظة التي أنفقوها ولم تؤت ثمراتها، ولذلك يجب التفكير في تطوير وسائل التبشير ومناهجه ، ومما جاء في هذا التقرير قوله: ".. وعندي أنه قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين يجب أن نهدم الإسلام في نفوسهم ، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم" .

٢/٦ : مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥م :

عقد هذا المؤتمر تحت حماية الاحتلال البريطاني لفلسطين، وكان أبرز المتحمسين فيه بالعداء للإسلام "**زويمر**" وألقى خطبته على الحاضرين من المبشرين ، ومن المهم للقارىء أن أضع أمامه نص هذا الخطاب ليعرف كيف تلتقي مصالح التبشير والاستعمار مع مصالح اليهود في فلسطين ليجمعهم هدف واحد هو التخلص من الإسلام : قال زويمر:

"أيها الإخوان الأبطال: والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل، ولقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء .. إنني أقركم أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية من المسلمين ليسوا بمسلمين حقيقيين ، لقد كانوا كما قلتم ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يهتم بغير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر ، وعزت عليه لقمة العيش، وثالث يبغي الوصول إلى غاية شخصية.

إن المهمة التي نبدكم إليها دول المسيحية في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام لصيبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم عليه دول المسيحية. لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها دول أروبا وأمريكا.

أيها الزملاء: إنكم أعددتم في ديار الإسلام شباباً لا يعرفون الصلة بالله ولا يريدون أن يعرفوها، وأخرجتم بعضهم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا هم له في دنياه إلا الشهوات. . فإذا تعلم فالشهوات، وإذا جمع المال فالشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز فالشهوات، وفي الشهوات يجود بكل شيء. . باركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، ولقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب"([1]) .

([1]) من كتاب: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، صـ٥٨ ، ٥٩ ، نقلا عن: قوى الشر المتحالفة: محمد الدهان صـ١١٢ – ١١٥ .

المبحث السابع

مقاومة الحركة التنصيرية في مصر

فى منتصف يونية ١٩٣٣ أعلن الشيخ "**مصطفى المراغــى**" عن تأليف جمعية لمقاومة التبشير، وكان الشيخ لا يزال غاضباً من حرمانه من مركزه كشيخ للأزهر، وكان هدفه مــن تــشكيل هــذه اللجنة، ليس فقط الحفاظ على سلطته الأدبية أمام الرأى العام، ولكن أيضاً إحراج شيخ الأزهر "**الظواهرى**" الذى انتقدته بعض الصحف بتخاذله فى موقفه ضد الإرساليات التنــصيرية، وكــذلك مــضايقة الحكومة، الأمر الذى جعل الشيخ "**الظواهرى**" شيخ الأزهر يؤلــف هو الآخر لجاناً فى جميع أنحاء القطر لجمع التبرعــات لمناهــضة هؤلاء المبشرين، ولنشر الوعظ الدينى الإسلامي بين النــاس فــى المساجد وغيرها ولبناء الملاجــئ لإيــواء الأطفــال المتــشردين الشاردين، ويبدو أنه حدث نوع أو شكل من التوفيــق بــين الــشيخ "**المراغى**" والشيخ "**الظواهرى**، والتقى الرجلان من أجــل تحقيــق غاية واحدة هى مقاومة ومحاربة التنصير، الــذى عجــزت عنــه الحكومة([1]).

١/٧ : الأعضاء المؤسسون:

سرعان ما انضم إلى عضوية جمعية مقاومة التنصير، لفيف من رجال الدين الإسلامي، والمفكرين والمثقفين، وكثير من شــباب الأزهر. فكان من أعضاء الجمعية الدكتور "محمد حــسين هيكــل، وعبد الحميد سعيد، رئيس جمعيات الشبان المسلمين، ومحب الــدين

([1]) تاريخ جمعية مقامة التنصير المصرية د/ خالد نعيم ص ١٩ .

الخطيب، رئيس تحرير مجلة الزهراء الشهرية، ومجلة الفتح الأسبوعية، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، أحمد الغمراوى، ويحيى الدرديرى، محمد على فضلى، محمد الههياوى، الصفتى ومحمد عبد الوارث الصوفى، من الأزهر، ومحمد فهمى حسين عبد الوهاب، وطه عبد الباقى سرور نعيم سكرتير تحرير مجلة الإسلام والتصوف – فيما بعد –والشيخ حسن البنا حيث كان عضواً بارزاً فيها. والحقيقة أن وجود الشيخ "**المراغي**" بالجمعية قد زادها قوة فى نظر الرأى العام، فى ذلك الوقت وتألفت لجان بالأقاليم للجمعية، وكانت مقار هذه اللجان، غير مستقرة، وفى بعض الأقاليم كانت غير معلومة. وكانت غالبية مقار لجان الأقاليم، دوراً أو مقار الشبان المسلمين. كما كانت قيادات الجمعية بالقاهرة، تجتمع فى دار الشبان المسلمين.

٢/٧ : أهداف الجمعية([١]):

وتمثلت أهداف الجمعية، فى محاربة الإلحاد، وإرسال المبعوثين لدحض حجج المنصرين فى إجتماعتهم العامة؛ وإصدار المنشورات التى تفضح أعمال الإرساليات التنصيرية، وحث المسلمين على مقاومة المنصرين، وتنويرهم بأساليب المنصرين الخبيثة، وجمع التبرعات المالية من القادرين، من أجل إيواء الأطفال المتشردين ببناء الملاجئ لهم والمدارس الإسلامية، لتعليم أبناء المسلمين فيها. بعيداً عن مدارس الإرساليات اللعينة.

([١]) السابق: ٢٠.

٣/٧ : مصادر تمويل الجمعية:

وكانت الجمعية تسند فى تمويلها على يسر ذوى اليسر من أعضائها، ومؤيديها. وقد بدأ الاكتتاب الشيخ "**الظواهرى**"، وتبرع بمائتي جنيه فتتابع العلماء جميعاً بالتبرع، ثم تبرع الأهلون بمبالغ مختلفة. وكان الأمير "**عمر طوسون**"، الذى كان يشمل كافة جمعيات الشباب المسلمين بالرعاية، قد تبرع بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه، وقد تبرع أحد الأعيان من الصعيد بمبلغ عشرة آلاف جنيه، أنه "**السيد مصطفى عمرو**"، الذى كان يمتلك أربعة عشر ألف فدان، كما أوقف السيد "**مصطفى عمرو**"، من أملاكه، خمسمائة فدان لإنشاء ملجأ للفتيات، حتى تأوى إليه الفتيات الفقيرات التى تضطرهن الحاجة إلى دخول الملاجئ الأجنبية، التابعة للإرساليات التنصيرية .

٤/٧ : نشاط الجمعية وفروعها([١]):

وبدأت الجمعية فى ممارسة نشاطها، فكانت منشورتها تصف المنصرين بأنهم "ذئاب فى ثياب حملان" ،ووصفت نشاط الإرساليات بأنها إجرامية. وجاء فى أحد هذه المنشورات "فوجيء الإسلام اليوم بعدة لطمات مخيفة وطعنات قاتلة من نواحي مختلفة، كان أشدها خطراً وأكبرها بلاءً وأعظمها مصيبة سيل التبشير الذى تدفق علينا من ربوع الغرب، فسمم العقول وضلل الأفئدة بنفثاته السامة ولذعاته السامة ولذعاته القاتلة ودعايته الواسعة النطاق، التى يراد منها هدم كيانه وتقلص مجده وأفول نجمه. ودسوا السم فى

([١]) السابق : ٢١ وما بعدها .

الدسم. وعلماؤنا وحكوماتنا فـــى غـــيهم يعمهـــون وفـــى نـــومهم يغطون،.. ألخ"

فى نهاية يونية عام ١٩٣٣، تقدمت الجمعية بعريضة للملـــك فؤاد، وللقائم بأعمال رئيس الوزراء "**محمد شفيق باشـــا**"، تطالـــب باتخاذ الإجراءات الضرورية للسيطرة علـــى نـــشاط الإرســـاليات التبشيرية، وتقييد حركتها بين أوساط المسلمين. وقد ناشدت الجمعية الشعب المصرى، مقاطعـــة كـــل المؤســـسات والمراكـــز التابعـــة للإرساليات التنصيرية. وإن كانت فى أحد منشوراتها "طلبت مـــنهم الالتزام والهدوء". وبعد ذلك أرسلت الجمعيـــة احتجاجـــا – شـــديد اللهجة – إلى كل ممثلي الدول الأجنبية فى القاهرة، تطلب مـــنهم أن يستخدموا نفوذهم لحل مشكلة البعثات التبشيرية من جـــذورها فـــى مصر.

وعلى صفحات "**السياسة**"، هاجم الشيخ "**المراغى**"، رئـــيس الجمعية، الحكومات المصرية، وبعض كبار العلماء من العلمـــانيين، لتخاذلهم فى التصدي لإرساليات التنصير. كما أن الدكتور "**محمـــد حسين هيكل**"، ورئيس تحريـــر "**الـــسياسة**"، هـــاجم الإرســـاليات التنصيرية، ونشاطها الهدام. وقد أتـــاح، بـــصفته رئـــيس تحريـــر السياسة، وعضواً بارزاً فى الجمعية، الفرصـــة لكـــل مـــن أراد أن يفضح خلال شهر يوليـــو ١٩٣٣. وفـــى نفـــس الوقـــت ادعـــت "**الإيجيشيان جازيت**"، بأن الجمعية تألفت من أجـــل أن يـــستخدمها الشيخ "**المراغى**"، كسلاح سياسي، للنيل من خصومه وردت عليهـــا صحيفة "**البلاغ**" بأن الجمعية ليس لها أى هدف سياسي، بـــدليل أن

أعضائها يمثلون قطاعاً عريضاً ومتبايناً من القوى الوطنية، وذكرت "**البلاغ**"، بأن "**عبد الرحمن عزام**"، أحد المتحمسين للقضايا العربية، كان عضوا نشطاً بالجمعية. ورفضت "**البلاغ**" ما ادعته "**الجازيت**" .

وعندما أخذ نشاط جمعية محاربة التنصير، يلقى تأييداً شعبياً منقطع النظير، خشيت الأحزاب السياسية العلمانية، من ضخامة هذا التأييد الشعبى للجمعية، فاتهمها "**حزب الوفد**" العلماني بأنها تعمل على تحقيق أهداف حزبية سياسية ومع أن الجمعية حصرت نشاطها الإسلامي ضد التنصير ومحاولاته، وبمساعدة لفيف من العلماء والمثقفين، وطلاب الأزهر، الذين كانوا ينتمون لحزب الأحرار الدستوريين؛ فليس معنى هذا أن الجمعية الدينية التى قامت من أجل مهمة إسلامية بحتة، كانت تبغى تأليف حكومة دينية أو قومية، كما كان البعض يدعى وهذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة. ويؤكد ذلك- شاهد من أهلها فقد عبر أحد المسئولين فى دار المندوب السامى البريطانى، عن شكوكه أن هناك مصلحة ما فى استخدام الفروع الإقليمية لجمعية مقاومة التبشير فيما بعد، كأساس تنظيم حزبى وقال: "إن هذه الفروع الإقليمية لا يمكن أن ترقى إلى فروع التنظيمات الحزبية المعروفة".

وفى ذلك الوقت، كان هناك لفيف من علماء الدين الإسلامي، كانوا لا يهتمون بنشاط هذه الإرساليات التنصيرية، وقد كتب بعض هؤلاء فى الصحف يقولون: "إن الحكومة لا تستطيع أن تفعل شيئاً إذا لم يثبت أن الإرساليات تستخدم الإرغام"، وكتب البعض الآخر

يقول: "من الأجدر بالجمعيــة أن تــشجع المــسلمين أن يتبرعــوا للمدارس الإسلامية" وقالت صحيفة "الاتحاد" التى كان يكتــب فيهــا عدد من هؤلاء: "إنه ليس هناك مشكلة خاصة بالإرساليات، حيــث أنه ليس هناك دين يستطيع أن ينافس الإسلام" ولكن عندما تعــاظم نشاط الجمعية، شعر هؤلاء العلماء، بأن مــوقفهم أصــبح حرجــاً للغاية، خاصة وأن جماهير الشعب أخذت توجه لهم اللوم؛ كمــا أن بعض أعضاء الجمعية كانوا يهاجمون هؤلاء العلماء لــذلك. وكــان البعض يدعى، بأن الشيخ "**الظواهرى**"، من بين هؤلاء العلماء .

ولكن الشيخ "**الظواهرى**" شيخ الأزهر كان قد أصــدر فــى شهر يونية ١٩٣٣، منشورات باســمه، أشــعل بــه النــار ضــد الإرساليات التبشيرية. وكانت بنود هذا المنشور، فى غاية العنــف والحماسة ضد المنصرين. فقد حث فيه الحكومة على استئصال هذا المرض الخطير، واتهم المنصرين باستخدام الضغط والتعذيب([١]) .

٥/٧ : موقف السلطات البريطانية من الجمعية:

ولما رأت السلطات البريطانية، أن فى هذا المنشور، دلالــة قوية، على التضامن الإسلامي القوى، بين الشيخ "**الظواهرى**" شــيخ الأزهر وبين الشيخ "**المراغى**" رئيس جمعيــة محاربــة التنــصير اضطرت دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة، إلى أن يلجــأ إلى ضرب هذا التضامن الإسلامي بين الرجلين. ووضعت إســفيناً للإطاحة بالتلاحم الــذى ســبب الكثيــر مــن القلــق للإرســاليات التنصيرية، وللوجود البريطانى فى نفسه فــى مــصر. وأشــاعت

([١]) السياسة والأزهر د/ فخر الدين الأحمدي الظواهري القاهرة ١٩٤٥ .

مصادر موثوق بها فى دار المندوب السامى، "بأن الشيخ المراغى، وجمعية مقاومة التبشير، قد سلبوا من الشيخ "**الظواهرى**" شيخ الأزهر وأعوانه دورهم كحماة للإسلام وربما دفع دار المندوب السامى، لهذه المقولة، هو أن منشور الشيخ الظواهرى، كان بعض كلماته تشير بأصابع الاتهام إلى بريطانيا، بأنها هى التى تحمى هؤلاء المنصرين ويبدو أن المندوب السامى، قد لفت نظر الحكومة المصرية، إلى موقف الشيخ الظواهرى، الهجومي ضد "حكومة صاحبة الجلالة". فقد حدث أن تفاهمت الحكومة المصرية مع الشيخ الظواهرى، وبعض معاونيه، لمدة ثلاثة أيام. وربما نجحت مساعي الحكومة، لأن الشيخ الظواهرى، ومعاونيه، بدأوا يخففون من حملتهم ضد التنصير، واتهامهم لبريطانيا بأنها وراء كل هذه المشاكل .

كما أن الصحف الحكومية، خرجت فى شهر أغسطس عام ١٩٣٣، بخبر تشكيل مجلس حكومى من العلماء، كان على رأسه الشيخ الظواهرى لدراسة المشكلة. ومع ذلك فإن أعضاء جمعية محاربة التنصير، كانوا يمارسون نشاطهم بجدية تامة، فى التصدي لمحاولات الإرساليات التنصيرية، تحويل الصغار عن دينهم الإسلامي، وفى جمع التبرعات من الميسورين لإقامة الملاجئ والمدارس- وإن كان البعض يعتقد، بأن الحكومة هى التى شغلت أعضاء الجمعية بهذه المهمة الأخيرة، لإبعادهم عن الأمور السياسية- فإننا نؤكد بأن أعضاء الجمعية لم يكن لهم أية طموحات بشأن الوزارة.

وعندما أشتد اللوم على الشيخ الظواهرى من جانب بعـــض أعضاء الجمعية- لسلبيته، فإنه أصدر فى شهر سبتمبر عام ١٩٣٣، فتوى تدين، وبشدة المـــسلمين الـــذين يلحقـــون أبنـــائهم بمـــدارس الإرساليات الأجنبية التنصيرية. وقد وجدت هـــذه الفتـــوى قبـــولاً واستحساناً لدى أعضاء الجمعية، وكثير من أبناء الشعب المصرى. وتدعى وثائق الإرساليات التبشيرية، بأن الشيخ الظواهرى، لم يكن موفقاً فى توقيت إصداره فتواه وتستند الوثـــائق إلـــى أن "**الجهـــاد**" عندما نشرت الفتوى، استبعدت الفقرات التى كانت موجهـــة ضـــد الإرساليات التبشيرية وضد حكومة بريطانيا؛ لأن الحملة التى كانت ضد الإرساليات قد خفت حدتها. كما تستند الوثائق كذلك، على مـــا نشرته "**البلاغ**"، بأن فى هذا الاستبعاد للفقرات المتطرفـــة، الـــدليل على تعاطف حزب الوفد، العلماني، مع الإرساليات التبـــشيرية وإذا كانت "الوثائق الإرسالية"، تدعى عدم توفيق الشيخ الظواهرى، فـــى إصدار فتواه، تلك الفتوى التى جعلت أعـــداد الدارســـين المـــسلمين بمدارس الإرساليات التنصيرية، تتناقص بصورة ملحوظة، فإنهـــا فى نفس الوقت تؤكد، بأن وزارة الخارجية البريطانية لم يسرها هذه الفتوى، لا الفقرات التى كانت موجهة ضد الإرســـاليات التبـــشيرية فحسب، لذلك نجدها توجه برقية سرية لمندوبها السامى البريطـــانى فى القاهرة (مستر سيربيرس **M .Lorain**)، وتطلب إليه فيهـــا، أن يبلغ استياء حكومة جلالة الملكة، من فتوى وبيان الشيخ الظواهرى، لكل من الملك فؤاد، ورئيس الوزراء. وعلى الفور ناقش "**لـــورين**" هذه المسألة مع ،"زكى الإبراشى باشا" ، ورئيس الديوان الملكـــى،

و"محمد شفيق باشا"، القائم بعمل رئيس الوزراء. كما تحدث "**سيسل كامبل**"، القائم بعمل المندوب السامى، مع محمد شفيق باشا، القائم بعمل رئيس الوزراء، وطلب إليه أن يبذل قصارى جهده، لإخماد الدعاية المناهضة للإرساليات التبشيرية التى تقوم بها جمعية مناهضة التنصير. وفى نفس الوقت، كان "كوين بويد **keaym .** **Boyd**"، الذى أشرف على التحقيقات الخاصة بحوادث التنصير دائم الاتصال بالشيخ المراغى، للوقوف على نشاط جمعية محاربة التنصير وقد أوصاه بالاعتدال. مما سبق يثبت أن بيان وفتوى الشيخ الظواهرى، قد أزعج بالفعل حكومة لندن، والمجلس الأعلى للإرساليات التنصيرية، وإلا ما تحركت بريطانيا بهذا الثقل، فى محاولة من جانبها لإحباط تحركات الشيخ الظواهرى، وجمعية محاربة التنصير.

وتعترف وثائق الإرساليات التبشيرية نفسها، بانخفاض فعلى فى عدد الملتحقين من أبناء المسلمين المصريين، بمدارس الإرساليات الأمريكية، بدرجة ملحوظة، والوثائق- لا تذكر أعداداً، وإنما تذكر نسبة ٥% من مدارس الجزويت. وبطبيعة الحال، يؤكد هذا التهرب من ذكر الأعداد، أنها ضخمة، سواء بمدارس الإرساليات الأمريكية، أو بمدارس الجزويت!

وأمام هذه الظاهرة، وهى انخفاض أعداد الطلاب بمدارس المنصرين، راحت جريدة "**الجازيت**" وجريدة "**الايجبيشان ميل**"، تشهران بشدة، بالصحافة المصرية، لأنها هى التى قادت الحملة السوداء ضد مدارس الإرساليات التبشيرية. وقد يندهش البعض من

أن الصحافة البريطانية والألمانية كانت تتابع، وباهتمام شديد، نشاط جمعية محاربة التنصير، لدرجة أنه أثيرت عدة أسئلة داخل مجلس العموم البريطانى، عن كيفية مواجهة نشاط هذه الجمعية، وما هى الخطوات التى ستتخذ لمواجهة هذه الحملة.

ولكن الذى يبدد هذا الاندهاش، أن ألمانيا وهى معقل الحركة الإسشراقية، وبريطانيا، وهى التى تخشى على وجودها فى مصر، فى ذلك الوقت، كانتا متفقتين على حماية عمل المبشرين، بالإنجيل فى وادى النيل، وتوصيل رسالة السيد المسيح إلى المصريين الذين يعيشون فى الظلام .

٧/٦ : الملك "فؤاد" يؤيد نشاط الجمعية([١]):

فى نهاية عام ١٩٣٣ راجت إشاعات، بأن الملك فؤاد يشجع الحركة المناهضة للإرساليات التنصيرية. مما جعل دار المندوب السامى البريطانى، تعلن، "إذا تمادت الحركة المعادية للإرساليات التبشيرية، فإن هناك خطراً للإضرار بطموحات مصر فى الحصول على معاهدة مقبولة، وإنهاء الامتيازات الأجنبية" .

٧/٧ : رد الفعل لتأييد ملك البلاد للنشاط المناهض للمنصرين:

ولا شك فى أن الإشاعات التى راجت فى كافة إنحاء القطر المصرى، بأن الملك يشجع نشاط جمعية محاربة التنصير، قد أعطى الصحافة مزيداً من الحرية، فى فضح وكشف أساليب ونشاطات المنصرين. وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تعبئة الرأى

([١]) تاريخ جمعية مقاومة التنصير المصرية ص ٢٩.

العام الإسلامي فى مصر، فاشتعل الحماس الـديني، وتحـول إلـى مواجهة مباشرة ضد مؤسسات الإرساليات التنصيرية. ففـى نهايـة يونيو اقتحمت مجموعة من أعضاء جمعية مناهضة التبشير، كـانوا مسلحين بقبضات حديدية منزل أحد المنـصرين الأمـريكيين فـى القاهرة. ونجحوا فى تفريق الاجتماع الذى كـان منعقـداً، بعـد أن اعتدوا عليهم بالضرب، وكان يحضر الاجتماع قس قبطى. نال هو الآخر نصيبه من الضرب.

وفى "**حى الأزبكية**" بالقاهرة، وقعت اعتداءات متكررة، مـن جانب أعضاء جمعية مناهضة التبشير، ضد العناصر القبطية، التى كانت تؤيد وتناصر وتعاون المنصرين فى أعمالهم. وفى "**دمنهور**" محافظة البحيرة تعرض راهب حاول تنصير بعض الـشباب إلـى الضرب المبرح. كما تكـرر الاعتـداء علـى القـسس الأقبـاط، البروتستانت، فى "**جرجا**"، محافظة سـوهاج، لمحـاولتهم تنـصير الأولاد الفقراء، والبنات اليتامى، وأعتدي بالـضرب كـذلك علـى تاجرين مسيحيين، من "**المحلة الكبـرى**"، كانـا يروجـان لكتـب المنصرين، وكانا ينتميان إلى كنيسة تبشيرية وفى يوليـو اعتـدي على أحد الكهنة فى "**شبرا**" إحدى ضواحى القليوبية لتكرار سـيرة برفقة أحد المنصرين .

المبحث الثامن

أقباط مصر يؤيدون المنصرين([1]):

وعلى الرغم من تعدد هذه الحوادث، فإن الحركة المعادية للإرساليات التنصيرية، لم تكن فى نفس الوقت،معادية للأقباط فى مصر، على الرغم من أنه كان عديد من المنصرين الأقباط، وكانوا يعملون بتوجيه من الإرساليات التنصيرية الأجنبية. وحالة القس القبطى "**مرقس سرجيوس**"، أحد أعوان الإرساليات التنصيرية الأجنبية، خير دليل على ذلك. فقد كان هذا القس، يظهر ولاءه للمنصرين بصورة فجة، على صفحات جريدته "**المنارة المصرية**"، وكان يثنى دائما على الخدمات الكثيرة، والثمينة التى قدمتها الإرساليات التبشيرية لمصر كلها أقباطاً ومسلمين. وكان "مرقس سرجيوس" هو صاحب دعوة "**أن المسلمين يريدون أن يحكموا مصر بمفردهم**" وكان يطالب دائماً الأقباط بضرورة تأييد استمرار الوجود البريطانى فى مصر لذلك كان من الطبيعى، أن تهاجمه الصحف المصرية بضراوة، وتطالب "جمعية محاربة التنصير" برأسه وكان بعض الأقباط المصريين يطلقون عليه المتطرف !!

فى ١٣ يوليو، نشرت جريدة "**جازيت**"، أن ملجأ للأيتام تديره الراهبات الفرنسيات، فى مدينة "**كفر الزيات**" قد حاصرته جماعة من الشباب المسلمين، المتأثرين بما تنشره الصحف، وحاولو اقتحامه، ولم تحضر الشرطة إلا بعد أن سلمت الراهبات مقاليد المسؤولية للغوغاء. وقد احتجت الإرسالية التنصيرية الفرنسية،

([1]) السابق : ٣٠ وما بعدها .

وطالبت بحقوقها فى الامتيازات الأجنبية. وبناء عليــه نبهــت دار المندوب السامى البريطانى، الملك فؤاد، بأن من حــق بريطانيـــة، وواجبها أن تحمى الأجانب وأن ضغوط الحكومات الأجنبية تخــول للتصرف. ويبدو أن تنبيه دار المندوب السامى، كان بمثابة تهديد أو إنذار إلى مصر، إذا لم يتم وقف الحركة المعادية لبعثات التنــصير الأجنبية.

وهكذا كانت الهجمة التنصيرية على مصر، هى التى أثارت الوجدان الدينى، والعواطف الإسلامية، بل ودعمت التيار الإسلامي السياسى فى ثلاثينيات هذا القرن.

ولقد شهدت مدينة "طنطا" التى لها مكانة خاصة لدى مسلمى مصر مظاهرات شعبية إسلامية عنيفة، ضد المنصرين ولكن بعــد هذه المظاهرات، وحادثة "كفــر الزيـــات"، اضــطرت الحكومـــة المصرية، إلى منع كافة التجمعات المناهضة والمعادية للإرســاليات التنصيرية، بما فى ذلك اجتماعات جمعية محاربـــة التنــصير،التى كانت تجتمع فى دار الشبان المسلمين، بالقاهرة. كما أوقــف نــشاط جمعية المحافظة على القرآن، والتى كان مقرها مدينة "دمنهــور"، لما كان لها نشاط واسع ضد بعثات التنصير فى "البحيرة" ولا شــك أن هذه الخطوة قد اتخذت بناء على إصرار بريطانيا. وهذا ما كان يردده بعض أعضاء البرلمان فى ذلك الوقت. وإذا كان قــد ســمح لكبار العلماء من جمعية مقاومة التنصير، بالاســتمرار فـــى جمــع التبرعات، بحق الاجتماع العلنى فإن ذلك كان من قبيل "ذر الرمـــاد فى العيون" وحتى لا توصم الحكومة بمقاومة ومحاربة " أعمال البر

والإحسان"، والتى كانت البعثات التنصيرية تمارس نشاطها تحــت ستار هذه الأعمال البر والإحسان .

المبحث التاسع

الحد من انتشار النشاط التبشيري:

مع سقوط حكومة "**إسماعيل صدقى**" فـى سـبتمبر ١٩٣٣، وتعيين "**عبد الفتاح يحيى باشا**"، تزايد التيار الإسلامي الـسياسي، ومنعت الحكومة النشاط التنصيرى خارج مقار الإرساليات، وتوزيع الكتيبات التى تدعو للتنـصير، واسـتخدام العوامـات فـى النيـل للمنصرين، كما أنها منعت تعميد صغار الـسن، وتـدريس الـدين المسيحى للمسلمين فى المـدارس والمعاهـد التابعـة للإرسـاليات التبشيرية الأجنبية. واعتباراً من عام ١٩٣٦ منعت الحكومة دخـول المنصرين للبلاد؛ ولكنها لم تمنع التبشير. لأن مصر كانت لا تزال خاضعة للامتيازات الأجنبية، وكان عليها أن تظل كذلك، حتى توقع اتفاقية مؤتمر مونترو فى عام ١٩٣٧ التى أوقفتها تـدريجياً علـى مدى عشر سنوات، ولم يكن للحكومة المصرية مطلق الحرية فـى وضع قوانين أو تنفيذها حتى انتهاء الامتيازات الأجنبية. ولكن منـذ اتفاقية "مؤتمر مونترو"، كان الإشراف الكامل للدولة علـى حركـة المنصرين.

هكذا نشأت جمعية محاربة التنصير، وقاومـت الإرسـاليات الأجنبية فى مصر، خلال فترة تاريخية عصيبة، كـان الاسـتعمار البريطاني خلالها يجثم على الصدور، وكان بامتيازاتـه الخاصـة، التى حصل عليها على إثر الاتفاق مع السلطان العثمانى، فى٧ مايو ١٨٣٠، يقيد حركة القوى الإسلامية، ويحد من نشاطها فى مقاومـة الإرساليات التنصيرية.

ومع ذلك لا تزال إرساليات التنصير الأجنبية، ومـــؤتمراتهم المختلفة، تمارس نشاطها فى السر والعلانية، فى كـــل دول العـــالم الإسلامي، من أجل القضاء على الإسلام أو التقليـــل مـــن أهميتـــه وفاعليته، وإلقاء الشك والحيرة فى نفس المثقف، وكل ذلك يرجـــع إلى تغلغل المصالح الغربية المسيحية فى دول العـــالم الإســـلامي، الأمر الذى يجعل هذه المصالح تساند الحركـــة التنـــصيرية بـــشتى الوسائل المادية، والعسكرية والتقنية؛ فإذا لم يكن للعالم الإســـلامي وقفة اليوم؛ فلن يكون بمقـــدورنا وقـــف هـــذا المـــد التنـــصيرى الخطير!([1]) .

([1]) السابق / ٣٢ – ٣٥ .

مراجع البحث

١- تيارات فكرية معاصرة ، محمد الـسعيد الخليفـة – دار الثقافة العربية القاهرة ١٩٨٨م .

٢- التبشير في منطقة الخليج ، عبد الله التميمي .

٣- التبشير والاستشراق، مستشار عزت الطهطاوي .

٤- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف .

٥- تاريخ جمعية مقاومة التنصير المصرية، د/خالد نعيم ، كتاب المختار.

٦- تطور الحركة الوطنية في مصر د/عبد العظيم رمضان.

٧- تجربة مصر الليبرالية، د/عفاف لطفي السيد .

٨- السياسة والأزهر د/فخر الدين الأحمدي الظواهري، من مذكرات شيخ الإسلام الظواهري ، القاهرة ١٩٤٥م .

٩- الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر، د/ خالد نعيم، كتاب المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٠- تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر، أديب نجيب سلامة ، دار الثقافة القاهرة ١٩٨٢م .